ظاهرة مراعاة المناسبة
عند
ابن الصائغ الحنفي

تأليف

الدكتور : عيد محمد شبايك

دار حراء
٣٣ ش شريف . القاهرة

تقـــديـــم

لا شك أن للنسق الموسيقي أثرًا لا يخفى ، فإن ترتيب الأصوات والمقاطع ، وتعادل الألفاظ ، وتوازن الفقرات عناصر إيقاعية تؤدي وظائف أصيلة في بلاغة المعاني وفصاحة العبارة ، وفي زيادة حظها من الحلاوة والرشاقة ، ومضاعفة قدرتها على إحداث التأثير المقصود ؛ لذلك فعناية العرب به لا تقل بحال عن عنايتهم بالمعاني التي يريدون إقرارها وتثبيتها في النفوس ؛ لذلك شغفوا بموسيقى اللفظ وازدانت بها لغتهم منذ نشأتها نظمًا ونثرًا إذ كانوا مفتونين بالوزن ، شديدي العناية بالتنغيم في كلامهم عن طريق التناسب بين المقاطع ، والمزاوجة بين العبارات ، وقد يخرجون الكلمة عن أوضاعها فيغيرون بنيتها أو يحذفون منها ، أو يزيدون عليها ؛ لحسن التعادل وتكافؤ المقاطع .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد اختار للقرآن ترتيلاً تبدو فيه نغمة ألفاظه ورنينها وحسنها ، فلابد أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمزية في كل كلمة ، لا في مجموعها ونظمها فحسب . وهذا الحكم إن كان ينطبق على سائر ألفاظ القرآن ، فإنه ينطبق بالأحرى على الكلمات التي تقع في فواصل الآيات ؛ فهذه أولى بالعناية لأنها تجمع بين الوظيفتين : المعنوية والإيقاعية .

والحق أن قيمة المناسبة في بلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء . وما كان للقرآن أن يحافظ عليها ، ويختارها بعناية ، فيأتي بها متمكنة في موضعها ، مستقرة في نسقها ، لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته ، وتحقيق أهدافه .

قال ابن الصائغ : " اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ، يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ... ولا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه "[1].

وقال الزركشي : " اعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدًا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع " . [2]

وذكر السيوطي أن لابن الصائغ كتابًا بعنوان « إحكام الراي في إحكام الآي » تتبع فيه ما وقع في فواصل القرآن من مخالفة الأصول مراعاة لتناسب الفواصل . وقد نقل السيوطي في كتابيه « الإتقان ومعترك الأقران » ما جمعه ابن الصائغ في كتابه المذكور من تلك الأحكام التي تشمل ما يتعلق بالألفاظ المفردة ، وما يتعلق بالتراكيب وأحوالها .

وقد أشار ابن الصائغ إلي أنه " لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات التي ذكرها أمور أخري مع وجه المناسبة ، فإن القرآن لا تنقضي عجائبه "[3] . إلا أن ابن الصائغ لم يحدثنا عن هذه الأمور الأخرى التي تكون مع وجه المناسبة ، واكتفي بهذه الإشارة العاجلة ، لذلك عقدنا العزم علي بيان هذه الأمور التي سكت عنها ابن الصائغ في هذه المواضع الأربعين التي جمعها ، والله من وراء القصد.

المؤلف

---

١ الإتقان ٣٤٥/٣ ، والمعترك ٣٩/١

٢ البرهان في علوم القرآن ٦٠/١ ، ٦١

٣ الإتقان ٣٤٥/٣ ، والمعترك ٣٩/١

أولا : موقف العلماء من هذه الظاهرة

لقد شغلت هذه الظاهرة العلماء قديما وحديثا ، وتحدثوا عنها في مؤلفاتهم بالقبض وبالبسط كل حسب اهتمامه بها .

قال **سيبويه** (ت١٨٥هـ) : " وجميع مالا يحذف في الكلام ، وما يختار فيه ألا يحذف ، يحذف في الفواصل والقوافي . فالفواصل ، قول الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ (الفجر ٤) " . [1] وتابعه الفراء (ت ٢٠٧هـ) فقال : " وقد قرأ القرّاء « يسري » بإثبات الياء ، «ويسر » بحذفها ، وحذفها أحب إليّ لمشاكلة رءوس الآيات ، ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها " . [2]

ويقول **الفراء** (ت ٢٠٧ هـ) في قوله تعالي : ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ (الشمس ١١) " وقوله : " بِطَغۡوَىٰهَآ " أراد بطغيانها إلا أن الطغوى أشكل برءوس الآيات فاختير لذلك " [3] وقوله عز وجل " **فأغني** " و " **فآوي** " يراد به (**فأغناك**) و (**فآواك**) جري علي طرح الكاف لمشاكلة رءوس الآيات ، ولأن المعني معروف [4]

إذن فهو يري أن التعبير القرآني قد يلجأ إلي الحذف إذا عرف المعني أو دل عليه دليل سابق لتتفق رءوس الآيات فيجتمع الحذف ومراعاة المناسبة

ويضيف **الفراء** في موضع آخر حيث يقول في قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (الأحزاب ١٠) و ﴿ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (الأحزاب ٦٦) و ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ (الأحزاب٦٧) معللا زيادة الألف : " يوقف عليهن بالألف ؛ لأنها مثبتة فيهن ، وهي مع آيات بالألف وكان حمزة والأعمش يقفان على هؤلاء الأحرف بغير ألف فيهن وأهل الحجاز يقفون بالألف ، وذلك أحب إليهم لا تباع المصحف ، ولو وصلت بالألف لكان صوابًا ؛ لأن العرب تفعل ذلك ، وقد قرأ بعضهم بالألف في الوصل والقطع " . [5]

---

١ الكتاب ١٨٥/٤
٢ معاني القرآن ٢٦٠/٣
٣ معاني القرآن ٢٦٧/٣
٤ نفسه ٣ / ٢٧٤
٥ معاني القرآن للفراء ٣٥٠/٢ . يقصد بالقطع : " الوقف " .

ويؤيد ذلك **ابن قتيبة** (ت٢٧٦هـ) : " وإنما يجوز في رءوس الآي زيادة هاء للسكت ، كقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ (القارعة ١٠) أو « ألف » كقوله : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (الأحزاب١٠) لتستوي رءوس الآي على مذاهب العرب في الكلام " .[1]

ويقول **ابن جني** (ت٣٩٢هـ) : " ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع ، وفي السجع كمثل ذلك وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها ، والعناية بها أمسّ ، والحشد عليها أوفى وأهمّ ، وكذلك كلما تطرف الحرف في القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه " .[2]

وذكر **ابن فارس** (ت٣٩٥هـ) حديثًا مطولا عن سنن العرب التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم والتي نزل بها القرآن .[3] وذكر من هذه السنن « الإعادة والتكرير » إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عُبَاد :

قـرِّبا مربِطَ النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال [4]

فكرر قوله : " قربا مربط النعامة مني " في رءوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير ... .

قال علماؤنا : فعلى هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن مكرر) .

والعرب تصف الجمع بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم ٤) . ويقولون : " قوم عدل ورضىً " .

ومما ذكر ابن فارس من سنن العرب : الحذف والاختصار ، وذكر الجمع والمراد الواحد ، ومخاطبة الواحد بلفظ الجميع ، وخطاب الواحد بلفظ الاثنين ، والبسط والقبض ، والتقديم والتأخير ، والاعتراض .[1]

---

١ تفسير غريب القرآن صـ ٤٤٠

٢ الخصائص ٨٥/١

٣ ذكر السيوطي في « المزهر » فصلا عن هذه السنن نقلا عن الصاحبي وغيره (انظر المزهر ٣٣٢/١ ، وما بعدها)

٤ الصاحبي صـ ٣٤١ ، والأمالي ١٣١/٢ ، وأمالي المرتضي ١٢٦/١. ويقصد بالنعامة اسم فرسه ، وينظر : التكرير بين المثير والتأثير صـ ٥٩

وذكر أيضًا « المحاذاة » وعرفها بـ " أن يُجعل كلام بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظًا ، وإن كانا مختلفين ، فيقولون : « الغدايا والعشايا » ، فقالوا: الغدايا لانضمامها إلى العشاي " .[2]

قال الثعالبي (ت٤٢٩هـ) : " كانت العرب تزاوج بين كلمات تتجانس مبانيها وتتكافأ مقاطعها ومعانيها ، فيقولون : القلة ذِلة ، والوَحدة وَحشة ، واللحظة لفظة ، والهوى هوان ... والرمد كمَد " .[3]

يقول ابن منظور (ت٧١١هـ) معلقًا على قول ابن مُقبل : * هتاك أخبية ولاّج أبوبة * فإنما قال : أبوبة ، للازدواج لمكان أخبية .[4]

وقد يخرجون الكلمة عن أوضاعها فيغيرون بنيتها من أجل التوافق النغمي ، أو يحذفون منها ، أو يزيدون فيها لحسن التعادل ، وتكافؤ المقاطع .

فيقولون : « آتيك بالغدايا والعشايا » ، و « هنأني الطعام ومرّأني » مع أن فيه ارتكابًا لما يخالف اللغة " .[5]

والغداة لا تُجمع على الغدايا، ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا ، فإذا أفردوه لم يكسروه ؛ لأن « الغدايا » إذا أفردت ، قيل : الغدوات ، و « مرّأني » إذا أفردت قيل : أمرأني .[6]

فإن ترتيب الأصوات والمقاطع ، وتعادل الألفاظ ، وتوازن الفقرات عناصر إيقاعية تؤدي وظائف أصيلة في بلاغة المعاني وفصاحة العبارة ، وفي زيادة حظها من الحلاوة والرشاقة ، ومضاعفة قدرتها على إحداث التأثير المقصود .[7]

إذن فلا عجب أن يراعي القرآن ذلك الجانب المؤثر لأنه نزل بلغة العرب، وجرى على ما يستحب العرب من موافقة المقاطع ومراعاة التناسب. ولهذا أتت لغة القرآن محافظة على ذلك التناسب الصوتي - في كلماته وجمله ومقاطعه ومفاصله - ببعض الترخيصات اللغوية - كالحذف أو الزيادة أو التغيير في بنية الكلمة - وببعض صور العدول عن الأصل ، كتقديم كلمة ، أو تأخير أخرى أو إيثار صيغة على أخرى

---

١ راجع الصاحبي لابن فارس صـ ٣٣٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٦٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤١٢ ، ٤١٤ على الترتيب ، وانظر :السيوطي . المزهر .٣٤٢/١و ٢٦٦

٢ الصاحبي صـ ٣٨٤ ، وانظر : المزهر ٣٣٩/١

٣ يتيمة الدهر ٢٠٢/٤

٤ لسان العرب – مادة : ب و ب

٥ البرهان في علوم القرآن ٧١/١ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٠٣/٧

٦ راجع لسان العرب – مادة (غدا) ، والصاحبي صـ ٣٨٤ ، والمزهر ٣٣٩/١ .

٧ التناسب البياني في القرآن صـ ٣٣٤

مما يثبت أن العطاء الموسيقي مراعى بجانب العطاء اللغوي وموضوع في مقابله . وكأن للحفاظ على التناسب الصوتي في القرآن قيمة أكبر من الحفاظ على بعض العلاقات الجزئية ما دام الترخص فيها لا يشكل غموضًا أو التباسًا أو إخلالاً بالمعنى والذهاب ببلاغته.

ويصل بنا الزمان إلى ابن الصائغ الحنفي (ت٧٧٦هـ) فنجده قد ركّز اهتمامه على هذا الجانب (مراعاة المناسبة) ووجّه رغبته على تتبع الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فأحصى منها ما ينيف على أربعين موضعًا ، ونبّه على ذلك بقوله : " اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ، يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ، وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة ، فعثرت منها على ما ينيف على الأربعين حكمًا " .[1]

وقد ذكر ابن الصائغ هذه المواضع (الأحكام) في كتابه « إحكام الراي في أحكام الآي » ...

وقبل مناقشة ابن الصائغ في هذه الأوجه الأربعين نقدّم بيم يدي القارئ تعريفًا موجزًا بابن الصائغ ومؤلفاته .

ابن الصائغ هو محمد بن عبد الرحمن بن علي شمس الدين الحنفي الزمردي ابن الصائغ . نحوي ، أديب ، مصري من علماء القرن الثامن الهجري ، ولي في آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ، ودرّس بالجامع الطولوني .[2]

مؤلفات ابن الصائغ

١- « **التذكرة** » في النحو . ذكره حاجي خليفة باسم " تذكِرة ابن الصائغ" وهو في النحو في عدة مجلدات .
٢- « **المباني في المعاني** » (كشف الظنون ٣٧٢/٢)
٣- « **الثمر الجني في الأدب الجني** » (كشف الظنون ٣٥٦/١)
٤- « **المنهج القويم في فوائد تتعلق بالقرآن العظيم** » (كشف الظنون ٥٥٦/٢)
٥- « **شرح المشارق** » والمقصود بالمشارق " مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية " للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني (ت٦٥٠ هـ) وله شروح كثير منها شرح ابن الصائغ هذا. (**كشف الظنون ٢/ ٤٣٦**)

---

١ انظر : الإتقان ٣٣٩/٣ ، ومعترك الأقران ٣٢/١

٢ انظر في ترجمة ابن الصائغ ومؤلفاته " طبقات المفسرين " للداوودي . مكتبة وهبة . القاهرة . ١٩٩٤ م ، و"الفوائد البهية" صـ ١٧٥ ، و " بغية الوعاة " ١٥٥/١ ، و " شذرات الذهب " ٢٤٨/٦ ، و "الدرر الكامنة" ٤٩٩/٣ ، و " حسن المحاضرة " للسيوطي ٤٧١/١ ، و " الأعلام " للزركلي ٦/ ١٩٣ . دار العلم للملايين . بيروت . ط١٤ . ١٩٩٩م و كشف الظنون ٢٧٢/١ .

٦- « **نتائج الأفكار** » (كشف الظنون ٥٨٢/٢)
٧- « **اختراع الفهوم لاجتماع العلوم** » (كشف الظنون ٦٣/١)
٨- « **روض الأفهام في أقسام الاستفهام** » (كشف الظنون ٥٧٨/١)
٩- « **شرح ألفية ابن مالك** » (كشف الظنون ١٤١/١)
١٠- « **حاشية على مغني اللبيب لابن هشام** » **وصل فيها إلى حرف الباء.** (كشف الظنون ٤٧٥/٢)
١١- « **وضع الباهر في دفع أهل الظاهر** » (كشف الظنون ٦٣٧/٢)
١٢- « **إحكام الراي في أحكام الآي** »[١] (كشف الظنون ٥٥/١) و (الإتقان في علوم القرآن ٣٣٩/٣)

والذي يعنينا من هذه المؤلفات كتابه « **إحكام الراي في أحكام الآي** » موضوع حديثنا . لقد أحصى ابن الصائغ في هذا المؤلف أربعين موضعا في القرآن الكريم دخلها مخالفة الأصل لأجل المناسبة ومراعاة الفواصل ، ونبّه على ذلك بقوله : " اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ، يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ، وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة ، فعثرت منها على ما ينيف على الأربعين حكمًا " .[٢]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع ما يلي :
أولاً : إن فكرة مراعاة المناسبة أو مراعاة الفواصل فكرة قديمة لها جذورها في تراث أهل العلم ، أشار إليها كثيرون في مؤلفاتهم ، وبخاصة في علوم القرآن وتفسيره ، وقد سبق أن بينا ذلك عن بعضهم كالفراء ، وابن قتيبة ، وابن جني، وابن فارس ، والثعالبي ، وابن منظور ، والزركشي في « البرهان » ، والسيوطي في « الإتقان » و « معترك الأقران » . وسوف نري ذلك محققًا فيما نذكره من تعليقاتٍ علي الأوجه التي حصرها ابن الصائغ في كتابه إحكام الراي في أحكام الآي .

ثانيا : إن كتاب " ابن الصائغ " موضوع الحديث مفقود ، ولكن الإمام السيوطي – يرحمه الله – حفظ لنا هذا الكتاب داخل كتابيه " الإتقان " و "معترك الأقران " حيث نقل هذه المواضع الأربعين كاملة .[٣]

ثالثاً : أن ابن الصائغ قال في نهاية هذه المواضع : " لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه " .[٤]

---

١ لاحظ حرص ابن الصائغ على مراعاة المناسبة وتناسل المقاطع ، حتى في عنوان كتابه ، حيث سهل الهمزة في كلمة " الرأي " فصارت " الراي " مراعاةً لكلمة " الآي " .
٢ انظر : الإتقان ٣٣٩/٣ ، ومعترك الأقران ٣٢/١
٣ المرجعان السابقان الإتقان ٣٤٥/٣ ، والمعترك ٣٩/١
٤ الإتقان ٣٤٥/٣ ، والمعترك ٣٩/١

يُفهم من هذا القول أن ابن الصائغ لم يجزم بأن العدول عن الأصل في هذه المواضع من أجل المناسبة وحدها ، بل احتاط لدفع توهّم الإطلاق والتعميم بهذا التعقيب : " لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل ... إلخ " وهذا احتراز وجيه ؛ لأنه من أسس البحث العلمي الصحيح . ومع ذلك فأننا نأخذ علي ابن الصائغ بعض المآخذ :

أولاً : بالرغم من الاحتراز الوجيه الذي ذكره ابن الصائغ من أن هناك أمورًا أخرى غير المناسبة تتعلق بالمعنى ، فإنه لم يذكر شيئًا من هذه الأمور ، بل سكت عنها مكتفيًا بهذه الإشارة العابرة ، وصرف همه إلى المناسبة اللفظية فقط حيث أحصى منها أربعين موضعًا في آي القرآن كما ذكر .

ثانيا : المبالغة في قضية مراعاة المناسبة ، حتى نقل ما لا يصح وقوعه في القرآن ، كقوله في الحكم (الثاني والعشرين) : الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن ٤٦) قال الفراء : أراد جنة ، كقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات ٤١) فثنى لأجل الفاصلة .

والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه ، وقال : إنما يجوز في رءوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همزة أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآي ، فمعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين قال : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ (الرحمن ٤٨) ثم قال : " فيهما " . [١]

ثالثاً : لم يذكر بعض الأمور الأخرى التي أشار إليها والتي تتعلق بالمعنى وترتبط بالسياق ، بل صرف همه وجهده إلى المناسبة اللفظية وحدها ، إلى الحد الذي يقول معه : " اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ... " . [٢]

والحق الذي نراه ، يجب ألا يُنظر إلى بلاغة القرآن هذه النظرة الضيقة التي لا تكاد تجاوز الألفاظ والصيغ ، بل يجب تأملها وتدبرها لمعرفة ماكتن فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض .

ولا شك أن الكلمة أو الجملة أو المقطع الذي تختم به الآية قيمة خاصة ، لأنه عنصر يؤدي وظيفة مزدوجة في نظم الآية : فهو من ناحية يتصل بالمعني ويتممه ، ومن ناحية أخري يتصل بنظام الفواصل وينسقها . ولهذا كان حظه من العناية أكبر . وهذا الحكم يعم الكلام المنظوم بأشكاله المختلفة.[٣]

---

١ معترك الأقران ٣٦/١ ، ٣٧ والإتقان ٣٤٢/٣ ، والبرهان ٦٥/١ ونص الآية (فيهما عينان تجريان)

٢ نفسه ٣٣/١

٣ التناسب البياني في القرآن صـ ٣٥٢

وقد نبه إلي ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بقوله : " لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها مقياسا وأن تصفها وصفا مجملا ، وتقول فيها قولا مرسلا ، بل لا تكون من معرفتها في شئ حتى تفصل القول وتحصل ، وتضع اليد علي الخصائص التي تعرض في نظم الكلام ، وتعدها واحدة واحدة ، وتسميها شيئا شيئا ، وتكون معرفتك معرفة الصانع الحاذق ، الذي يعلم علم كل خيط من ابر الابر يسم الذي في الديباج ، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع ، وكل آجر من الآجر الذي في البناء البديع ،وإذا نظرت إلي الفصاحة هذا النظر ، وطلبتها هذا الطلب ، احتجت إلي صبر علي التأمل ، ومواظبة علي التدبر ،وأبيت إلا أن تكون هنالك ، فقد أممت إلي غرض كريم ، وتعرضت لأمر جسيم ، وآثرت التي هي أتم لدينك وفضلك وأنبل عند ذوي العقول الراجحة لك وذلك أن تعرف حجة الله تعالي من الوجه الذي هو أضوأ لها وأنور ، وأخلق بأن يزداد نورها سطوعا " .[١]

ثم يقول في موضع آخر : " ... وكذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار والإظهار والإضمار والفصل والوصل ، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه إلا نظرك فيما غيره أهم لك ،بل فيما إن لم تعلمه لم يضرك ... وهل يكون أضعف رأيا وأبعد من حسن التدبر منك إذا أهمك أن تعرف الوجوه في " ءأنذرتهم " وتعرف "الصراط" و "الزراط " و أشبه ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ وجرس الصوت ولا يمنعك – إن لم تعلمه – بلاغة " ٢

وذكر الزمخشري في كشافه القديم أنه " لا تحسن المحافظة علي الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني علي سدادها علي النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع ، السلسة علي اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة ، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحدة غير منظور فيه إلى مؤداه علي بال فليس من البلاغة في فتيل أو نقير.. " . ٣

وقال الزركشي : " اعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدًا ، ومؤثر في أعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيمًا ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع " . ٤

ومع تقديرنا لجهد ابن الصائغ في إحصاء هذه الأوجه وسبقه بالإشارة إلى ما يتصل بها من أمور تتعلق بالمعنى والتي سكت عنها ، فإننا نرى أن طريق البحث موصول ، وأن " العلم رحم بين أهله " وعلى الخلف أن يُكمل مسيرة السلف في البحث والتحقيق ، باستكمال نقص أو بالتنبيه على خطأ ، أو بإضافة جديد ، وهذا ما سنحاول جاهدين فيما يلي أن نتواصل فيه مع ابن الصائغ ، محاولين إتمام ما سكت عنه بالكشف عن بلاغة هذه المواضع التي عُدِل فيها عن الأصل ، مستعينين في ذلك بمصاحبة القرائن السياقية والمقامية – لما لها من أهمية كبرى في الكشف عن الخصائص التي تعرض في نظم الكلام – مدعّمين رؤيتنا برؤى أهل العلم لغويين ونحاة ومفسرين وبلاغيين ، والله الهادي إلى الصواب .

---

١ دلال الإعجاز صـ٣٧،٣٨

٢ دلائل الإعجاز صـ ١٠٩،١١٠

٣ لم أجد هذا القول في الكشاف ((طبعة الحلبي))وإنما ذكره الزركشي في البرهان ٧٢/١

٤ البرهان في علوم القرآن ٦٠/١ ، ٦١

الموضع الأول : **تقديم المعمول ، إما على العامل** ، نحو : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ (سبأ ٤٠) . قيل : ومنه : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (الفاتحة ٥) أو **على الفاعل** ، نحو : ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر ٤١) ، ومنه **تقديم خبر كان على اسمها** : ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص ٤) وفي قوله تعالى : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ (سبأ ٤٠) الخطاب للملائكة ، وهو تقريع للكفار وارد على المثل السائر : إياك أعني وأسمعي يا جارة ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة ١١٦) وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجهه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير ، والغرض أن يقول ويقولوا ، ويسأل ويجيبوا ، فيكون تقريعهم أشد وتعبيرهم أبلغ ، وخجلهم أعظم ، وهوانهم ألزم ، ويكون اقتصاص ذلك لطفًا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه "[1] وفيه إقناط للمشركين عما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم ، وتخصص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتوهم عن عباداتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولوية .[2]

إذن فتقديم المعمول " إياكم " على العامل " يعبدون " اقتضاه المعنى كما يفهم من السياق هذا فضلا عن مراعاة المناسبة .وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (الفاتحة ٥) لم يكن تقديم المعمول لغرض الفاصلة بالدرجة الأولى وإنما مراعاة المعنى تقتضى ذلك .. فإذا أتم الحامد حمد ربه ، يأخذ في التوجه إليه بإظهار الإخلاص له ، انتقالا من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده بالعبادة والاستعانة .... والحصر المستفاد من تقديم المعمول في قوله تعالى : " إياك نعبد " حصر حقيقي ؛ لأن المؤمنين الملقنين لهذا الحمد لا يعبدون إلا الله ، .. " وإياك نستعين " جملة معطوفة على جملة " إياك نعبد " وإنما لم تفصل عنها بطريقة تعداد الجمل مقام التضرع ، ونحوه من مقامات التعداد والتكرير ، كلاً أو بعضًا للإشارة إلى خطور الفعلين جميعا في إرادة المتكلمين بهذا التخصيص ، أي نخصك بالاستعانة أيضا مع تخصيصك بالعبادة .. والمقصود هنا الاستعانة على الأفعال المهمة كلها التي أعلاها تلقى الدين ، وكل ما يعسر على المرء تذليله من توجيهات النفوس إلى الخير ، وما يستتبع ذلك من تحصيل الفضائل ، وقرينة هذا المقصود رسمه في فاتحة الكتاب ووقوع تخصيص الإعانة عقب التخصيص بالعبادة ، ولذلك حذف متعلق نستعين الذي حقه أن يذكر مجرورا بـ "

---

١ الكشاف ٢٩٢/٣ ، ٢٩٣

٢ تفسير أبى السعود ١٣٦/٧ ، ١٣٧

على " وقد أفاد هذا الحذف الهام عموم الاستعانة المقصودة على الطلب من الله تأدبا معه تعالى .. والحصر المستفاد من التقديم في قوله تعالى :

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة ٥) حصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد

بالاستعانات المتعارفة بين الناس بعضهم ببعض في شئونهم ، ومعنى الحصر هنا، لا نستعين على عظائم الأمور التي لا يتسعان فيها بالناس إلا بالله تعالى ، ويفيد هذا القصر فيهما التعريض بالمشركين الذين يعبدون غير الله ، ويستعينون بغيره ، ولما كان مقام هذه الآية مقام مفتتح الوحي والتشريع ، واستهلال الوعظ والتقريع ، ناسب تأكيد الحكم بالقصر مع التعريض بحال الشرك الشنيع . [1]

أما عن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر ٤١) حيث تقدم

المعمول " آل فرعون " على الفاعل ، وأخر الفاعل " النذر " لأجل المناسبة ، لا يكفي القول بمراعاة مناسبة الفاصلة لأن للمعنى دوره في ورود النظم القرآني على ما هو عليه ، إذ لمّا كثرت الإنذارات وتكررت لآل فرعون ؛ لأنهم كفروا بالله وأفسدوا في الأرض وكذبوا بالآيات (المعجزات) التي أعطيها موسى ـ عليه السلام ـ ، كان الاهتمام هنا بتقديم ذكرهم لإبراز موطن العناد والتكذيب اللذين بهما استحقوا العذاب ، لذلك صدرت قصتهم بالقسم المؤكد لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغايةِ عَظَمَ ما فيها من الآيات وكثرتها ، وهول ما لاقوه من العذاب ، ولعل في ذلك مسرة ووعظا عندما يعلم الناس أن آل فرعون الطغاة البغاة أُخِذوا أخذ عزيز مقتدر .

أما بالنسبة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص ٤) قال

الزمخشري : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ تقرير لنفي الشبه والمجانسة (المماثلة)

للحكم به ، فإن قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم ، فما باله مقدما في أفصح كلام وأعربه ؟ قلت : "هذا الكلام إنما سبق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه ، وهذا المعنى مصبُّه ومركزه هو وهذا الظرف ، فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه".[2]

إذن فالغرض الذي يرمي إليه المعنى من هذا التقديم هو تقرير نفي المكافئة والماثلة عن ذاته عز وجل .

---

١ تفسير التحرير والتنوير ١٧٧/١- ١٨٥ (بتصرف)
٢ الكشاف ٢٩٩/١ وراجع أيضاً روح المعاني ٢٧٧/٣٠ وتفسير أبى السعود ٢١٣/٩

<u>الموضع الثاني</u> : تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ (النجم ٢٥) ولولا مراعاة الفواصل لقدمت " الأولى " كقوله : ﴿ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ (القصص ٧٠) ليس الأمر في التقديم مراعاة مناسبة الفواصل وإنما لملحظ بلاغي شريف . ولإدراك هذا الملحظ البياني - في تقديم الآخرة على الأولى في آية النجم - ننظر إلى الآيات المصاحبة للآية حتى يساعدنا السياق على فهم المعنى الصحيح فالسياق كما يقولون الحارس الأمين على المعنى قال تعالى : ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ (النجم ٢٢ - ٢٦). ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ (النجم ٢٤) أم منقطعة مقدرة بـ " بل " وهى للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم ، وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك لا يجدي نفعًا لهم في الآخرة ، فليست لهذه الأصنام شفاعة عند الله، والهمزة للإنكار والنفي ، أي بل ليس للإنسان كل ما يتمناه .. وفي تقديم الآخرة تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان كل ما يتمناه حتمًا ، فإن اختصاص ملك أمور الآخرة والأولى به تعالى مقتضٍ لانتفاء أن يكون للإنسان أمر ما ، وقدمت الآخرة لقطع أطماعهم عندهم من الفوز فيها - لذا أردف ذلك بقوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾ إقناطهم عما طمعوا به من شفاعة الملائكة (عليهم السلام) موجب لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق أولى ، "وكم" خبرية مفيدة للتكثير... وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ في قوله ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ يفيد القصر بأن الأمور تسير وفق إرادة الله تعالى ، لا وفق ما يتمناه الإنسان .[١]

وإذا كان ما يتمناه هؤلاء من شفاعة الأصنام لهم - وهذا لا يكون إلا في الآخرة وعند الحساب - مستحيلة لأن أحدًا لا يملك الشفاعة إلا من أذن له الله بها، لذلك قدمت الآخرة على الأولى في هذا الموضع. إذن فتقديم الآخرة على

---

١ تفسير أبي السعود ١٥٨/٨ ، ١٥٩ الألوسي ٥٨/٢٧ ، ٥٩

الأولى في هذا الموضع هو الأنسب والذي يقتضيه السياق ولأنه ينسجم لفظيًا مع الإيقاع الموسيقى للفاصلة فضلاً عن انسجامه المعنوي .

<u>**الموضع الثالث**</u> : **تقديم الفاضل على الأفضل** ، نحو قوله تعالى : ﴿ بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه ٧٠) وتقدم ما فيها .

ولكي نتبين العلة المعنوية والغرض من التقديم في هذه الآية وآية الشعراء - حيث تقدم ذكر موسى على هارون - نذكر الآيات التي ورد فيها الشاهد والتي تمثل السياق الذي يجلى الحكم ، ففي سورة طه ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه ٦٧ – ٧٠) . صحيح أن أواخر الآي في سورة (طه) تقتضي أن يكون (موسى) في آخر الآية ، وفي الشعراء تقتضي أن تكون كلمة (هارون) هي الفاصلة ، ولكن هناك ملحظًا آخر يقتضي تقديم ما قدم وتأخير ما تأخر ، وهذا يدعونا إلى استعراض سياق القصتين في السورتين :

أولا : أن ذكر (**هارون**) تكرر في سورة (**طه**) كثيرًا وقد جعله الله شريكًا لموسى في تبليغ رسالته في حين لم يرد في سورة الشعراء إلا قليلا من ذلك ما نقرأه في سورة " طه " قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (طه ٤٢) . فقد أمر كلا من موسى وهارون بالذهاب بآياته ولم يخص موسى بذاك . وكرر ذلك فقال : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه ٤٣ ، ٤٤) وكان الجواب صادرًا منهما معًا : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ (طه ٤٥) وقد طمأنهما ربهما فقال : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه ٤٦) . وأمرهما معًا

فقـــــال: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (طـه ٤٧) . وكـــان خطـــاب فرعون لهمـا معـًـا : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه ٤٩) ولم يقل لـه : فمن ربك ؟ ونسبهما كليهما إلى السحر فقال : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ (طـه ٦٣). وقـــد ورد تخلـــيف موسى لهارون في قومه فنصح لهم في غيبه .قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ (طه ٩٠) ولقد عاتب موسى أخاه هارون بشدة : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ (طه ٩٢-٩٣) . فـي حين لم يرد هارون في سورة " الشعراء " إلا قليلا وهو قوله تعالى ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ (الشعراء ١٣) وقوله تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء ١٥) . وفيما كان الخطاب ـ في آيات طه ـ موجهًا إلى موسى وهارون معـًا كـان موجهـًا إلى موسى وحده في الشعراء : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء ٢٩) . وقد نسب موسى وحده إلى السحر ولم ينسب معه هارون ، كما جاء في " طـه " فقـال جـلّ ثـناؤه : ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ (الشعراء ٣٤- ٣٥) ولم يرد ذكر لهارون بعد هذا . فأنت ترى أن القصـة في " طـه " مبنية على التثنية وأنها في "الشعراء" مبنية على الأفراد .

ذكر في آيات " طه " خوف موسى ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (طه ٦٧) ولـم تذكر حالة الخوف في " الشعراء " بمعنى أنه ذكرت جوانب الكمال والقوة في " موسى " فـي " الشعراء " ولم تذكر حالـة الضعف البشري الذي

اعتراه . فاقتضى كل ذلك المغايرة في التعبير بين القصتين .[1] لذلك كان التقديم والتأخير بين الاسمين حسبما يقتضيه السياق ويتطلبه المعنى ويؤكده الإيقاع .

ومم ذكر أيضـًا في بيان ذلك : " أن بدأهم بمن ليس أفضل دال على إظهار قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها ، وذلك أن الآية لم تظهر على يد هارون ، ولم يكن هو الغالب ، وليس في تقديم موسى الذي لقفت عصاه ما صنعوا شيء يلفت؛ لأنه هو الأصل (وهو صاحب المعجزة) أما تقديم من لا دخل له في المعجزة التي عليها آمنوا فهو الأمر اللافت لأنه جاء على خلاف الأصل " .[2]

وعندما نقرأ القصة ونتابع السياق نجد أن اهتمامًا كبيرًا من السحرة ويقينًا مطلقًا بغلبتهم بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشعراء ٤١-٤٢)

فلما جاء الأمر على خلاف ما أيقنوا وأملوا كان من المناسب أن يقلبوا القضية فيقدموا الفاضل على من هو أفضل وعلى هذا فالتقديم أفاد تأكيد الإيمان بموسى عليه السلام (صاحب المعجزة) وكذلك الإيمان بهارون ، كما أفاد الدلالة على هول المفاجأة مما أدى إلى قلب الاعتقاد لدى السحرة من يقين بالنصر إلى هزيمة منكرة شنعاء ، فكأن قلب الحقيقة في التعبير دل على قلب الحقيقة في الاعتقاد ، وبذلك تناسب هذا التعبير بما فيه من تقديم مع حالتهم النفسية .

وللأستاذ عبد الكريم الخطيب تعليل ظريف إذ يقول : " والأمر عندنا أهون من هذا وأقرب متناولا فهذه المقولات الثلاث التي حكاها القرآن على لسان السحرة هى جميعها من مقولاتهم في تلك الحال فقال بعضهم " **رب هارون وموسى** " وقال بعض آخر " **رب موسى وهارون** " وقال بعض ثالث : " **رب العالمين** " وقال بعض رابع ... وخامس ... وهكذا . قالوا جميعًا مقولات تدل على الإيمان بالله ، قالوها بأساليب مختلفة وبصور متباينة جهر بها بعضهم ،وخافت بها بعضهم ... ومحالاً ، يكونوا جميعًا قالوا قولاً واحدا على صورة واحدة ، وكأن الذي حكاه القرآن من مقولاتهم هو الوجه الغالب فيها .. وهذا ما يتفق وصدق القرآن وإعجازه " .[3]

---

١ التعبير القرآني ص ١٩-٢٠٠

٢ الإعجاز البلاغي في تراث أهل العلم ١٩٩-٢٠٠

٣ إعجاز القرآن للخطيب ٢/٢١٩ ، ٢٢٠

وهناك رأي آخر وهو أن سورة (**طه**) تبدأ بالحرفين : الطاء والهاء . وسورة الشعراء تبدأ بـ (طسم) . فكلتا السورتين تبدأ بالطاء غير أن الحرف الأخير من (طه) هو الهاء وهو أول حرف من هارون وليس فيها حرف من حروف موسى . والحرف الأخير من (طسم) هو الميم هو أول حرف من حروف (موسى) وليس فيها حرف من حروف هارون . أفلا يزيد حسنا على حسن تقديم هارون على موسى في طه وتقديم موسى على هارون في الشعراء ؟

وقد ترى ذلك إغراقا في التعليل ، وربما كان ذاك ، إلا أن العجيب أن كل سورة تبدأ بالطاء ترد فيه قصة موسى في أوائلها مفصلة قبل سائر القصص مثل طه ، وطس ، وطسم (**القصص**) ، وطسم (**الشعراء**) وليس في المواطن الأخرى مما يبدأ بالحروف المقطعة مثل ذلك فالقاسم المشترك فيما يبدأ بالحرف (ط) قصة موسى مفصلة في أوائل السورة . والملاحظة الأخرى أن ما يبدأ بـ (**طسم**) تكون قصة موسى فيها أطول مما يبدأ بـ (**طس**) فكأن زيادة الميم إشعار بزيادة القصة . فانظر يرعاك الله ، أي سر من أسرار التعبير هذا ؟ [1]

الرابع : تقديم الضمير على ما يفسره نحو: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ (طه ٦٧) والحاصل هنا أن تأخير الفاعل وتقديم المفعول ليس لمراعاة الفاصلة فحسب " وإنما للتأخير حكمة أخرى وهي أن النفس تتشوق لفاعل "أوجس" فإذا جاء بعد أن أخر وقع من النفس بموقع " . [2]

وهذا التعليل يغلب عليه طابع العموم ، والحق أن موسى مؤيد من ربه فهو – سبحانه – معه يسمع ويرى ، ولما كان توجس الخوف يشعر بدنو منزلة موسى –عليه السلام – في هذا الموقف ، أشعر النظم الكريم بأن ذلك ينبغي أن يكون بعيدا عنه ، لذلك أعقبه بقوله : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (طه ٦٨) والأعلى لا ينبغي أن يخاف ظاهرا ولا باطنا، وتقديم الجار والمجرور (**في نفسه**) على المفعول (خيفة) لبيان أن كانت في نفسه ولم تكن ظاهرة ، وإن كان لفظ " **أوجس** " يوحي بكون الخوف في نفسه ، لكن النظم الكريم حرص على التصريح به ليؤكد المعنى ، ولا يظهر موسى في مقام الخائف ، لاسيما في هذا الموقف أمام أعدائه .

---

١ التعبير القرآني ص ٢٠١
٢ البرهان ٦٢/١

الخامس : تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء١٣) .

يرى ابن الصائغ أن جملة " يلقاه " نعت لـ " كتابا " ، وأن " منشورًا" نعت مفرد ، وقدم النعت الجملة على النعت المفرد من أجل رعاية المناسبة .

وأرى أن في هذا الرأي شيئًا من التعسف وتحميل للمناسبة (الفاصلة) ما لا تحتمل ، فلِمَ لا تكون " منشورا " حالاً من الضمير في " يلقاه " ؟ وبهذا يستقيم المعنى مع البناء التركيبي ، ومع مناسبة الفاصلة لما قبلها (أليمًا ، عجولاً ، تفصيلاً) وما بعدها (منشورًا ، حسيبًا ، رسولاً) .

ويؤيد هذا بعض النحاة ، قال **العكبري** : " منشورا " حال من الضمير المنصوب ، ويجوز أن يكون نعتا للكتاب [1] .

السادس : حذف ياء المنقوص المعرف ، نحو قوله تعالى : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد ٩) ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ (غافر ٣٢) .

السابع : حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (الفجر ٤) .

الثامن : حذف ياء الإضافة ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (القمر ١٨) ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (الرعد ٣٢ ، غافر ٥) .

والحق أن حذف الياء في كل هذه الشواهد (الآيات) لا يؤثر في المعنى وليس حذف الياءات قاصرا على الفواصل ، ففي القرآن أمثلة كثيرة لحذف الياءات في درج الكلام كقوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ ﴾

---

١ إملاء ما من به الرحمن (التبيان في إعراب القرآن) ٩٨/٢ ، وراجع : البحر المحيط ١٤/٦ والكشاف ٤٤١/٢

(القمر ٦) وقوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ (الرحمن ٢٤) وغيرها [١]

فالحذف فيها لا يؤثر في وظيفة الكلمة ، ولا يغير من معناها ، ولكنه على كل حال يؤدى إلى تحقيق النسق الموسيقى الناتج عن اتفاق المقطع الأخير في الفواصل ، كما يؤدى إلى رعاية النسق الموسيقى أيضًا بعدم كسر البناء اللغوي في الكلمات غير الفواصل . " والعرب تفعل هذا في كلامها إذا تم فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره ؛ لأن هذا لا يزيل المعنى عن جهته ولا يزيد ولا ينقص" [٢] ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها " . [٣]

وعن حذف الياء من الاسم مثل : " الكبير المتعال " أو الفعل مثل : " والليل إذا يسر " يقول أبو علي الفارسي فيما نقل عنه : " وليس إثبات الياء في الوقف بأحسن من الحذف ، وجميع ما لا يحذف وما يختار فيه ألا يحذف نحو - القاض بالألف واللام – يحذف إذا كان قافية أو فاصلة ، فإن لم تكن فاصلة فالأحسن إثبات الياء " [٤] . وقد ذكر الفراء : أن العرب تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها وأنشد بعضهم :

كفّـاك كفٌّ ما تُلِـيقُ درهمًا   جُودًا وأخرى تُعطِ بالسيف الدما

وذكر الألوسي أن حذف الياء من " يسر " على غير القاعدة للتخفيف [٥] .
" وورد في حديث أم زرع : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد ، قريب البيت من الناد " . [٦]

والذي أراه أن هذا يدل على خصوصية معينة في معنى الكلمة المحذوف منها الحرف ، وكأن الحذف يشير بذلك إلى أن المعنى المقصود ليس هو المعنى المتداول المألوف لدى الناس ولذلك لم يأت رسم الكلمة على النمط المألوف لديهم .

ويرى الدكتور المطعني أن علة الحذف في هذا الموضع : الرمز إلى التفرقة بين المعاني الذهنية المعنوية التي لا صورة لها محسوسة مادياً في

١ انظر على سبيل المثال الآيات (هود ١٠٥ ، الإسراء ٨ ، ق ٤١ ، الروم ٥٣) .
٢ تفسير غريب القرآن ص ٤٤٠
٣ معاني القرآن ٣٦٠/٣
٤ التحرير والتنوير ٣٠ / ٣١٦ .
٥ روح المعاني ١١/ ١٣٩ .
٦ التحرير والتنوير ٢٤ / ١٣٦ ، ١٣٧ .

الوجود ، وبين المعاني المادية المدركة بإحدى الحواس الخمس . فالمراد من " يسر " - في آية الفجر - ليس الذهاب بالحس المدرك بالبصر ، بل الذهاب المعنوي ؛ لأن الناس لا يرون سُرى الليل بأبصارهم ، وإنما يدركون ذلك السُّرى بعقولهم وأذهانهم .

وفي نقص الياء هنا لطيفة أخرى ، وهي أن سرى الليل يدل على نقصانه شيئاً فشيئاً . والنقص الحسي في صيغة هذا الفعل الحادث بحذف الياء يشع منه معنى بالغ النهاية في الدقة وهو نقصان الليل نفسه في الواقع .[1]

التاسع : زيادة حرف المد نحو : " الظنونا ، والرسولا ، والسبيلا "[2]
ومنه إبقاؤه مع الجازم نحو : ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ (طه ٧٧) .

يقول الفرَّاء في قوله تعالى : ﴿ ... يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (الأحزاب ٦٦) .

وقوله : ﴿ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ يوقف عليها بالألف وكذلك ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ ﴿ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ يوقف عليها بالألف ؛ لأنها مثبتة فيهن ، وهي مع آيات بالألف وكان حمزة والأعمش يقفان على هؤلاء الأحرف بغير ألف فيهن وأهل الحجاز يقفون بالألف ، وذلك أحب إليهم لا تباع المصحف ، ولو وصلت بالألف لكان صواباً لأن العرب تفعل ذلك ، وقد قرأ بعضهم بالألف في الوصل والقطع . ومثل هذا في كلام العرب ... "[3]

وقد بكر عظم الموجهين إلى ملاحظة علة اختيار هذا الوجه في القراءة " وإنما فعلوا ذلك ؛ لأن أواخر الآيات عندهم فواصل ، ويثبتون في آخرها في الوقف ما دام قد يحذف مثله في الوصل ... ومثل هذا في كلام العرب :

---

١ مجلة منبر الإسلام العدد ص٢٥ .

٢ " الظنونا " في قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (الأحزاب ١٠)

و " الرسولا " في قوله تعالى : ﴿ ... يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (الأحزاب ٦٦)

و" السبيلا " في قوله تعالى : ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ (الأحزاب ٦٧) .

٣ يقصد بالقطع : "الوقف " ومعاني القرآني للفراء ٢/٣٥٠)

أقلّي اللومَ عاذلَ والعتابَا

فأثبت الألف ؛ لأنها في موضع فاصلة وهي القافية ... لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر الأبيات من الشعر والفواصل ؛ لأنه خوطب العرب بما يعقلون في الكلام المؤلف ، فيدل بالوقف في هذه الأشياء وزيادة الحروف نحو " الظنونا ، والرسولا ، والسبيلا " أن الكلام قد تم وانقطع ، وأن ما بعده مستأنف " .[1]

فالفرّاء يرى أن الوقف عليها بالألف أحب إليه وبخاصة أنها جاءت مع آيات بالألف ، ولو وصلت بالألف لكان صواباً لأن العرب تفعل ذلك ، فيجوز الوقف والوصل بالألف . قالوا : ولأن العرب تفعل ذلك في قوافي أشعارهم ومصاريعها ؛ قال :

نحن جبلنا القرح القوافلا　　　　تستنفر الأواخر الأوائلا

ويقول الفرّاء في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ (طه ٧٧) فإن قلت : كيف أثبتت الياء في "تخشى" ؟ قلت : في ذلك ثلاثة أوجه : إن شئت استأنفت " ولا تخشى" بعد الجزم ، وإن شئت جعلت " تخشى " في موضع جزم وإن كان فيها الياء ؛ لأن من العرب من يفعل ذلك ، قال بعض بني عبس:[2]

ألم يأتيك والأنباء تنمى　　　　بما لا قت لبون بنى زياد

فأثبتت الياء في " يأتيك " وهى في موضع جزم ؛ لأنه رآها ساكنة فتركها على سكونها .

والوجه الثالث : أن تكون « الألف »[3] صلة لفتحة الشين ، كما توصل القوافي بإعراب رويها كقول الأعشى .

---

١ معاني القرآن وإعرابه ٢١٨/٤ ، ٢٣٧ ، وانظر أيضًا إعراب القرآن للنحاس ٣٠٥/٣ ، والكشاف ٣/ ٢٧٥ ، والمحرر الوجيز ٥٥/١٣ ، وحاشية الجمل ٤٢٧/٣ .

٢ هو قيس بن زهير (معاني القرآن ١٦١/١ هامش ٧)

٣ في معاني القرآن الياء لتمثيل آخر فجعلناها (الألف) لتوافق التمثيل

" بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا " [1]

يقول بعض الباحثين معلقًا على هذه الآية : " ولست أرى هنا ما يمنع من جعل " لا" نافية وليست ناهية بدليل أنها معطوفة على لا النافية في قوله : " لا تخاف " . [2]

العاشر : صرف ما لا ينصرف ، نحو : ﴿ قَوَارِيرَاْ ۝ قَوَارِيرَاْ ﴾ (الإنسان ١٥ ، ١٦) .

قال الفرّاء : " وكما قال " سلاسلا " و " قواريرا " بالألف فأجروا ما لا يجرى [3] وليس بخطأ ؛ لأن العرب تجرى ما لا يجرى في الشعر ، فلوا كان خطأ ما أدخلوه في أشعارهم ، قال متمم بن نويرة .

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدى لاعبينا

وقال لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغاليق متشابه أجسامها .

وقال لبيد أيضاً :

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنّامها

فصرف مخاريق ، ومغاليق ورغائب [4] ، وهى على صيغة منتهى الجموع .

وخلاصة القول أن الأمر راجع إلى القراءات وإلى طريقة العرب في تصريف القول ، وقد جاء القرآن على ما يستحب العرب والقراءات مشتملة على جميع لهجات العرب ، وتساير لغتهم ، وعلى هذا لا يعد صرفها خروجاً عن اللغة وليس فيه زراية على الإعراب ، والله أعلم .

---

١ معاني القرآن ١٦٢/١

٢ مجلة منبر الإسلام ع ١ س ٤١ ص ١٥ من مقال بعنوان "فواصل الآيات بين المعنى والنغم الموسيقى ".

٣ يقصد بقوله أجروا ما لا يجرى : صرفوا ما لا ينصرف

٤ تفسير القرطبي ٨٠/١٩ ، ٨١ وراجع الكشاف ١٩٥/٤ ، ١٩٨

الحادي عشر والثاني عشر : إيثار تذكير الجنس ، كقوله تعالى : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴾ (القمر ٢٠) وإيثار تأنيثه ، كقوله تعالى : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة ٧) .

كلا الآيتين بصدد وصف العذاب الذي أصاب قوم عاد ، فالريح التي أصابتهم ريح عاتية قوية (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم فتكبهم وتدق رقابهم " كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ " منقلع عن مغارسه ، وفي هذا التشبيه إشارة إلى جثثهم الطوال العظام ، ويجوز أن الريح كانت تقطع رءوسهم فتبقى أجساداً بلا رءوس كأعجاز النخل أصولا بلا فروع ، قال النحويون : "اسم الجنس الذي تميز واحدة بالتاء جاز في وصفه التذكير ـ كما في هذه الآية ـ والتأنيث ـ كما في قوله : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .. هذا مع أن كلا من السورتين وردت على مقتضى الفواصل " .[1]

نلاحظ هنا أن النيسابورى أشار إلى ملحظ بياني يتعلق بالمعنى ، كما أشار إلى ملحظ لغوى (صرفي) أيضاً يبرر إيثار التأنيث أو التذكير ،وأخيراً يشير إلى الملحظ اللفظي ، وهو مراعاة الفواصل في كلا السورتين .

قال أبو السعود : " كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ " أي منقلع عن مغارسه ، وشبه بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع ؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس ، وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها في قولها تعالى : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ للنظر إلى المعنى " .[2]

ويفهم من ذلك أن صفة الانقعار مناسبة لقوله (تنزع الناس) ، كما أن الوصف بالخواء مناسب لقوله (صرعى) ؛ لأن الصريع جسد بلا رُوح ، فهو يشبه النخل الخاوية .

---

١ تفسير النيسابورى على هامش الطبري ٧٠/٢٧ ، وانظر كشاف الزمخشرى ٣٩/٤

٢ تفسير أبى السعود ١٧١/٨

الثالث عشر : الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرىء بهما في السبع في غير ذلك ، كقوله : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾ (الجن ١٤) .

ولم يجيء رشداً في السبع ، وكذا: ﴿ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ (الكهف ١٠) فإن الفواصل في السورتين لحركة الوسط وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ ﴾ (الأعراف ١٤٦) وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم ، ونظير ذلك قراءة ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ (المسد ١) بفتح الهاء وسكونها ، ولم يقرأ : ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ (المسد ٣) إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة .

بالنسبة لكلمة " رشدا " تختلف قراءتها حيث وقعت في آي التنزيل بين ضم الراء ، وسكون الشين ، وتحريكهما بالفتح معًا [1] وقد وقعت هذه اللفظة فاصلة في خمسة مواضع :

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ (الكهف ١٠)

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ (الكهف ٦٦)

﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾ (الجن ١٠)

﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴾ (الجن ١٤)

---

[1] اتفق القراء السبعة على قراءتها بتحريك الحرفين بالفتح ما عدا الموضع الثاني ، فقرأه ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بخلافٍ بضم الراء ، وسكون الشين ، وقرأه أبو عمرو بتحريك الحرفين بالفتح . انظر : (السبعة صـ ٣٩٤) أما سائر المواضع ففيها قراءات شاذة تخالف ما اتفق عليه الجمهور ، عُزيت في الموضع الأول إلى أبي رجاء ، وفي غيره إلى الأعرج . (البحر المحيط ١٠٢/٦ ، ٣٥٠/٨ ، ٣٥٣)

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (الجن ٢١)

وحمل الموجهون ما اختلفوا فيه على ما اتفقوا عليه ، وتباينت مذاهبهم في تأويل معنى الصيغتين " وقد سئل الإمام أبو عمرو بن العلاء عن ذلك ، فقال : «الرشد» بالضم هو الصلاح ، وبالفتح هو العلم ، وموسى عليه السلام إنما طلب من الخضر عليه السلام العلم ، وهذا في غاية الحسن ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ (النساء ٦) ، كيف أجمع على ضمه ، وقوله :﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف ١٠)و ﴿ لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ (الكهف ٢٤) ، كيف أجمع على فتحه ؟ ولكن جمهور أهل اللغة على أن الفتح والضم في الرشد لغتان كالبُخْل والبَخَل ، والسُّقْم والسَّقَم ، والحُزْن والحَزَن ، فيحتمل عندي أن يكون الاتفاق على فتح الحرفين الأولين لمناسبة رءوس الآي وموازنتها لما قبل وما بعد نحو (عجبًا ، عددًا ، أحدًا) بخلاف الثالث ، فإنه وقع قبله " علمًا " وبعده " صبرًا " ، فمن سكّن فللمناسبة أيضًا ، ومن فتح فإلحاقًا بالنظير ، والله أعلم " .[1]

جاء في لسان العرب : "اللَّهَبُ واللَّهيبُ واللُّهَابُ واللَّهَبَان : اشتعال النار إذا خَلَصَ من الدُّخَان ... واللهب : لهب النار وهو لسانها ، والتهبت النار وتلهَّبت أي اتَّقدت . قال ابن سيدة : اللهبان شدة الحر في الرضاء ونحوها ، ويوم لهبان شديد الحر " .[2]

جاء في تفسير النيسابورى : " قال أبو الليث : اللهْب واللهَب لغتان كالنهْر والنهَر ، ولكن الفتح أوجه ، ولهذا قرأ به أكثر القراء ، وأجمعوا في قوله تعالى : " ذات لهب " على الفتح رعاية للفاصلة " .[3]

ويبدو لي أن اللهَب بالتحريك فيه إيحاء بشدة اللهب وكثرة الاشتعال والاتقاد كما أن " في (النَّهَر) بالتحريك دلالة على السعة والكثرة "[1] كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ (القمر ٥٤) .

---

١ النشر في القراءات العشر ٢١٣/٢ ، وانظر : معترك الأقران ٣٩/١
٢ لسان العرب مادة (لهب)
٣ تفسير النيسابورى ١٩٧/٣

وواضح مما جاء في المادة أن الهاء محركة غالباً بالفتح وبذلك تفيد المادة معنى الاتقاد والاشتعال وشدة الحر فذكره في قوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (المسد ٣) يصور النار ويشخصها ويوحي بتوقدها وتلهبها واشتعالها ، وهذا ما لا تفيده كلمة (لهب) بسكون الهاء ، وكأن احتباس الهاء بالسكون فيه إيحاء باحتباس النار عن الاشتعال وضعف لهيبها لذلك كان في التحريك إيحاءً بكثرة التوقد وشدة الاشتعال .

هذا فضلاً عن التناسق الملحوظ والمسموع في (أبو لهب ... ذات لهب ... حمالة الحطب ... حبل من مسد) .

<u>الرابع عشر</u> : إيراد الجملة التي ورد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٨) لم يطابق بين قولهم "آمنا" وبين ما ورد به فيقول " لم يؤمنوا " أو " ما آمنوا " لذلك .

وقبل أن نعرض لدقة النظم في الآية نشير إلى سبب نزولها ، لما له من أهمية في فهم النص .

قال ابن عباس نزلت هذه الآيات في منافقي أهل الكتاب منهم (عبد الله بن أبى) و (معتب بن قشير) و(الجد بن قيس) كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق ، ويقولون : إنا لنجد في كتابنا نعته وصفته [٢] .

وأما نظم الآية ففي منتهى الدقة والروعة البيانية ، (من الناس) يقصد من هؤلاء المشار إليهم في سبب النزول ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق [والعدول إلى (الناس) للإيذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض] " من يقول" (من) موصوفة ، كأنه قيل : ومن الناس ناسٌ يقولون كذا ، كقوله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ (الأحزاب ٢٣) إن جعلت اللام للجنس ، وإن جعلتها للعهد صارت (من) موصولة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ (التوبة

---

١ معجم الأعلام والألفاظ القرآنية مادة (نهر)
٢ تفسير الفخر الرازي ٦١/٢

٦١) والمقصود اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة وما يتعلق به من الصفات ، لا كونهم ذوات أولئك المذكورين . [وتوحيد الضمير في "يقول " باعتبار لفظة (من) وجمعه في " **آمنا بالله وباليوم الآخر** " وما بعده باعتبار معناه] فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ؟ قلت : اختصاهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث ، وتماديهم في الدعارة [حيث لم يكن إيمانهم بواحد منهما إيماناً حقيقياً إذ كانوا مشركين بالله بقولهم : " عُزَيْرُ بن الله " وجاحدين باليوم الآخر بقولهم : " لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة " فكان قولهم : " آمنا بالله وباليوم الآخر " خبثاً مضاعفاً وكفرا موجهاً . وفي تكرير الباء [لادعائهم أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه ، وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الأصالة والاستحكام] فإن قلت : كيف طابق قوله : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (القبرة ٨) قولهم ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ (القبرة ٨) والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ؟ قلت : القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه ، فسلك في ذلك طريقاً أدى إلى الغرض المطلوب ، وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره ، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين ، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان ، وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع ، ونحو قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ (المائدة ٣٧) هو أبلغ من قولك : وما يخرجون منها .

ويؤكد هذا قول أبى السعود : " وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بانتفاء الإيمان عنهم في جميع الأزمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الجملة الفعلية " .[1]

ويضيف الزمخشرى : " فإن قلت : فلم جاء بالإيمان مطلقاً في الثاني وهو مقيد في الأول ؟ قلت : يحتمل أن يراد التقييد وتُرك لدلالة المذكور عليه ، وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط ، لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما " .[2]

---

١ تفسير أبى السعود ٤٠/١

٢ الكشاف ١٦/١ ــ ١٧٠ (بتصرف) .

أين هذا الفهم الذي يبرز المعنى ويتعلق بالملحظ البياني من القول بأنه عدل عن كذا لأجل الفاصلة ؟ فكل آية لها فاصلة ولكن الفاصلة تابعة للمعنى ، ومؤتلفة مع السياق فضلاً عما لها من إيقاع موسيقى يتناغم مع الآيات التي بصحبتها .

الخامس عشر: إيراد القسمين غير مطابق للآخر كذلك ، نحو : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (العنكبوت ٣) ولم يقل " الذين كذبوا " .

بداية ننبه على أن لكل من صيغتي الاسم والفعل خصوصيتها التي تتميز بها من غيرها – في موضعها الذي ترد فيه – في أداء المعنى .

وقد لمح البلاغيون إلى هذه الخصوصية بقولهم : " إن موضوع الاسم على أن يثبت به معنى للشيء ومن غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء " .[١]

وهنا في نظم الآية ملحظ بياني دقيق فقد عبر الحق سبحانه عن الصادقين بلفظ الفعل (الذين صدقوا) وعن الكاذبين باسم الفاعل (الكاذبين) للإشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر ، وأن الكذب راسخ فيهم ، وصفة ملازمة لهم ، بخلاف الذين صدقوا ، فإن الفعل يفيد التجدد والحدوث .

قال الفخر الرازي : إن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر ورسوخه فيه ، والفعل الماضي لا يدل عليه ، كما يقال : فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر ، فإنه لا يفهم من صيغة الفعل الثبوت والرسوخ " .[٢]

السادس عشر: إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى ، نحو: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٧٧) هاتان الجملتان تذييل لآية كبيرة (طويلة) وهى قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ... الآية﴾ . (أولئك) إشارة إلى

---

١ دلائل الإعجاز صـ ١٣٣ ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز صـ ١٥٦
٢ تفسير الرازي ٢٩/٢٥

المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة ، وما فيه من معنى البعد ، لما مرّ مِرارا من التنبيه على عُلُوّ طبقتهم وسمو رتبتهم (الذين صدقوا) أي في الدّين ، واتباع الحق وتحرى البر ، حيث لم تغيرهم الأحوال ، ولم تزلزلهم الأهوال " وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ " عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة التنويه بشأنهم ، وتوسط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم .

وأرى أن التعبير بالفعل (صدقوا) (وهو جملة الخبر) لإفادة التحقيق وأن ذلك وقع منهم واستقر . والخبر الثاني جملة اسمية (هم المتقون) فضمير الفصل (هم) لإفادة التخصيص وانحصار التقوى فيهم ، والتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت والملازمة ، وكأنه صار سجية لهم ، هذا فضلاً عن مراعاة المناسبة .

والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحاً أو تلويحاً ، لما أنها ـ مع تكثر فنونها وتشعب شجونها ـ منحصرة في خلال ثلاث (صحة الاعتقاد ، وحسن المعاشرة مع العباد ، وتهذيب النفس) وقد أُشيرَ إلى الأولى بالإيمان بما فصل ن وإلى الثانية بإيتاء المال ، وإلى الثالثة بإقامة الصلاة ... الخ . ولذلك وُصف الحائزون لها بالصدق ، نظراً إلى إيمانهم واعتقادهم ، وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق ، وإليه يشير قوله ﷺ " من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان " .[1]

<u>السابع عشر</u> : إيثار أغرب اللفظتين ، نحو : ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ (النجم ٢٢) ولم يقل جائرة ، ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾ (الهمزة ٤) ولم يقل " جهنم " أو " النار" ، وقال في " المدثر" ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (المدثر ٢٦) وفي سأل ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ (المعارج ١٥) وفي القارعة ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ (القارعة ٩) لمراعاة المناسبة في كل سورة .

بالنسبة إلى قوله تعالى : ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ عدها ابن الأثير من الألفاظ الغريبة التي حسنت بحسن موقعها ، ثم علل ذلك بأنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه ، وغيرها لا يسد مسدها ، وقد يكون

---

١ تفسير أبي السعود ١٩٣/١ ، ١٩٤

هناك لفظة آلف منها مثل جائرة أو ظالمة ، ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة ؛ لأنها تكون خارجة عن حرف السورة ، فلو قلنا: ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ظالمة ، لم يكن النظم كالنظم الأول ، وصار الكلام كالشيء المعْوَز الذي يحتاج إلى تمام ، وهذا لا يخفي على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام " .[1]

وهذا كلام صائب مسلم به بحكم السمع والذوق معا ، ولكن ما يؤخذ على ابن الأثير هو ما أخذناه على غيره ، من أنه أرجع الحسن إلى شيء لفظي محض ، وهو مراعاة التقارب في مقاطع الفواصل ، ليتم لها الائتلاف والانسجام الإيقاعي . ولكن **الرافعي** نظر إليها نظرة عميقة شاملة تناولتها من ناحيتيها في إفاضة وحسن عرض حيث قال : "وفي القرآن لفظة هى أغرب ما فيه ، وما حسنت في كلام قط إلا في موضعها ، وهى كلمة " ضيزى " ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ، فإن السورة التي هى منها – وهى سورة - النجم - مفصلة كلها على حروف (الياء) فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل .

ثم هى في معرض الإنكار على العرب ، إذ وردت في ذكر الأصنام ، وزعمهم في قسمة الأولاد ،فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع وأدهم البنات ، فقال تعالى - ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ (النجم ٢١ – ٢٢) فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها ، الإنكار في الأولى ، والتهكم في الأخرى ، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة ، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل ، ووصف حال المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها، وجمعت – إلى ذلك – غرابة الإنكار لغرابتها اللفظية ، والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام ، وله نظائر في لغتهم ، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها ، ولا يكون حسنها – على غرابتها – إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت إليه بلفظها وهيئة منطقها ، فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا، وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس .

ثم يقول : وإن تعجب فعاجب نظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ما قبلها ، إذ هى مقطعان : أحدهما مدٌّ ثقيل ، والآخر مد خفيف ، وقد جاءت عقب

---

١ المثل السائر ١/١٧٦-١٧٨

غنتين في " إذا " و " قسمة " وإحداهما خفيفة حادة ، والأخرى ثقيلة متفشية ، فكأنها بذلك ليست إلا مجاوبة صوتية لتقطيع الموسيقى ، وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفا ، أما خامس هذه المعاني ، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة إنما هى أربعة أحرف أيضا " [1]

الرافعي يلفتنا إلى الأداء الدقيق لكلمة " ضيزى " في هذا التركيب البياني المعجز، فهي متناسقة مع غيرها من الفواصل مما يبرز جمال الإيقاع الذي انتظم فواصل السورة كلها عدا بعض آيات في آخرها . ورغم ثقلها في ذاتها فإن انسجامها مع اللفظتين السابقتين عليها جعلها سهلة في نطقها إذ أعقبت غنتين في "إذا " و" قسمة " فألفت مع غيرها مجاورة صوتية لتقطيع موسيقى . هذا إلى ما أوحت به غرابة اللفظة إلى غرابة القسمة فأتت مناسبة لجو الكراهة والإنكار الذي صورته الآية في معرض إنكارها على المشركين قسمتهم الجائرة .

ويرى الدكتور " تمام حسان " ملحظين آخرين – غير رعاية الفاصلة – أحدهما : الإيحاء بما في " الضاد " من تفخيم بأن الجور في هذه القسمة لا يزيد عليه . وثانيهما :ما في " ضيزى " - وهي للتفضيل - من زيادة في معناها على معنى " جائرة " التي هى صفة مشبهة . [2]

فلله در البيان الأعلى يستعمل الكلمة في موضعها فتكون أمس رحما بالمعنى وأوضح في الدلالة عليه وأشد إيحاء به .

أما قوله تعالى : ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾ .. الحطمة هى اسم من أسماء النار ، كما ذكر من أسمائها في مواضع أخرى جهنم ، وسقر، ولظى .. وهى من شأنها أن تحطم العظام ، وتأكل اللحم (وفي ذلك إشارة إلى غاية تعذيب الهمزة اللمزة) ، ويقال للرجل الأكول " حطمة " ووزنها فُعَلة كهمزة ولمزة .. كأنه قيل له كنت همزة لمزة ، فقابلناك بالحطمة ، وأيضا في الحطمة معنى الكسر والتحطيم ، والهمّاز اللماز يكسر أخلاقه الناس بالاغتياب ويحطم أغراضهم بالعيب أو يأكل لحومهم كما يأكل الرجل الأكول . [3]

---

١ تاريخ آداب العرب ٢/٢٣٠-٢٣١
٢ البيان في روائع القرآن ٢٨٨
٣ تفسير النيسابورى على هامش الطبري ١٦٢/٣٠ ، ١٦٣ (بتصرف)

كما أن سهولة الحركات في (الهمزة واللمزة والحطمة) توحي بسهولة ذلك عليه ، فهو يأتيه كثيراً ولا يبالي ، كالأكول الشره الذي يأكل دون مراعاة الآخرين والقرآن يغنينا عن تأويل بما تولى من بيان الحطمة في الآيات تعدها ، وتبدأ بالسؤال "وما أدراك ما الحطمة ؟ " ويأتي الجواب ببيان مناط الرهبة والهول في قوله تعالى : ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ (الهمزة ٦،٧) وباستقراء الاستعمال القرآني للنار نلحظ غلبة مجيئها لنار الجحيم في الآخرة ، ومع كثرة هذا الاستعمال لم تأت مضافة إلى الله تعالى إلا في " الهمزة " ، فشهد ذلك بفداحة النكر لفتنة المال ..." .[1]

وفي قوله : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (المدثر ٢٦) الضمير في الآية يعود على الوليد بن المغيرة الذي أنعم الله عليه وبسط له في الأموال والأولاد ، والبساتين النضرة ، وبسط الدنيا بين يديه ، يسر له مظاهر الجاه والعز والسيادة ، ومع ذلك فقد كفر وجحد فتوعده الحق سبحانه بعذاب جهنم، عبر عنه بقوله : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ أي سأدخله جهنم يتلظى حرها، ويذوق عذابها " وإنما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته ، ولوحته ، وأحرقت جلد وجهه - قال ابن عباس : هى الطبق السادس من جهنم " .[2]

وزاد هذا الوعيد تهويلا بتجهيل سقر، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ (المدثر٢٧) استفهام للتهويل والتفظيع ... إنها شيء أعظم وأهول من الإدراك، "لا تبقى ولا تذر" لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا ، " لواحة للبشر " .. كأنما تقصد إثارة الفزع في النفوس بمنظرها المخيف .

وفي قوله : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ في " المعارج " .. كلا : ردع للمجرم عن تمنى المحال من الافتداء ببنيه ، وصاحبته ، وأخيه .. "إنها" : والضمير للنار، ولم يجر لها ذكر؛ لأن ذكر العذاب دل عليها .. (لظى) علم للنار منقول من

١ التفسير البياني ١٧٥/٢-١٧٧ (بتصرف)
٢ تفسير القرطبي ٥٣/١٩

اللظى بمعنى (اللهب) فهي نار تتلظى ، وتتحرق ، وتنزع الجلود عن الوجوه والرءوس، تدعو المجرمين إليها وتلتقطهم التقاط الحب " .[1]

وفي القارعة ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ يعني جهنم ، وسماها أمًّا لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه ..قاله ابن زيد، ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

فالأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

وسميت النار هاوية لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها ... والهاوية : المهواة ، وتقول هوت أمه ، فهي هاوية أي ثاكلة ، قال كعب بن سعد الغنوي :

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدى الليل حين يئوب

وتهاوى القوم : إذا سقط بعضهم في إثر بعض .[2]

إذن فليس استخدام القرآن لكل لفظة من هذه الألفاظ لغرض مراعاة المناسبة أو الفاصلة في كل سورة فحسب ، وإنما هناك معنى بحسب المقام يقتضيه السياق ، فكل لفظة من هذه لو أدرت اللغة عليها ما صلح لموضعها غيرها ، وبهذا يتضح لنا تصريف القرآن بالقول بحسب المقام ، فلله در التنزيل ، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت ٤٢)

<u>الثامن عشر</u>: اختصاص كل من المشتركين بموضع ، نحو ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (إبراهيم ٥٢) وفي سورة " طه " ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ (طه ١٢٨) .

يرى **ابن الصائغ** أن آية إبراهيم ختمت بـ " **أولو الألباب** " من أجل مراعاة الفاصلة، وللسبب نفسه ختمت آية طه بـ " **أولى النهى** " وكأنه لم يجد توجيها يطمئن إليه لتعليل اختصاص المشتركين في آية إبراهيم بأولى الألباب، والمشتركين في آية طه بأولى النهى سوى مراعاة الفاصلة ، وهذا ملحظ شكلي؛

---

١ الزمخشري ، الكشاف ١٥٨/٤

٢ تفسير القرطبي ١١٤/٢٠

لأن الفاصلة لا تخلو من ملحظ بياني يتطلبه المعنى ؛ لأن الفاصلة خاضعة للمعنى أولاً وأخيراً .

ومع الاستقراء القرآني وجدنا أن استخدام الفاصلة "أولى الألباب" غالبا ما تأتى مرادا بها التذكر والتدبر أو النظر والتفكر أو الحث على الهداية والاعتبار . قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران ١٩٠) .

قال الكرماني : " خُصَّ أولو الألباب بالذكر؛ لأن المراد في الآية التذكر والتدبر والتفكر ...وإنما يأتى ذلك منهم .[١]

أما والفاصلة أولى النهى – قد وردت في موضعين من سورة " طه " (٥٤ ، ١٢٨) – غرضها تنبيه العقول ولفت الأنظار للعظة والعبرة للانتهاء عن القبائح . جاء في لسان العرب : "والنُّهَى : العقل، يكون واحدا وجمعا ، والنُّهْيَةُ : العقل ، سميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح ، ورجل ذو نُهْيَة : أي ذو عقل ينتهي به عن القبائح " .[٢]

ونعيش مع السياق والجو العام الذي وردت فيه آية "إبراهيم " من قوله تعالـــى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ

---

١ البرهان في متشابه القرآن ٢٣٦ وانظر " بصائر ذوى التمييز " ٢٧٠/١ ، وراجع الآيات (البقرة ١٩٧ ، ٢٦٩ – آل عمران ٧ ، ١٩٠ – يوسف ١١١ – الرعد ١٩ – إبراهيم ٥٢ – ص ٢٩ – الزمر ٩)

٢ لسان العرب مادة " نهى"

وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (إبراهيم ٤٢-٥٢ آخر السورة) .

قال المفسرون : " هذا " أي ما ذكر من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا... سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ " بلاغ للناس " كفاية لهم في الاتعاظ والتذكير " ولينذروا به " عطف على مقدر ، واللام متعلقة بالبلاغ أي كفاية لهم في أن ينصحوا وينذروا به .. " وليعلموا" بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة من إهلاك الأمم ، وإسكان آخرين مساكنهم ، وغيرهما مما سبق ولحق " إنما هو إله واحد" لا شريك له ، وتقديم الإنذار لأنه الداعي إلى التأمل المؤدى إلى ما هو غاية له من العلم المذكور ، والتذكر في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ... وفي تخصيص التذكر بأولى الألباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بـ "هذا " ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم ... ،حيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمراً حادثاً وبالنسبة إلى أولى الألباب الثبات على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم ، وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم "[١] .

أما في آية " طه " وهى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ (طه ١٢٨) .

---

١ تفسير أبى السعود ٦٢/٥

قال بعض المفسرين " أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ" كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾ (طه ١٢٧) والهمزة للإنكار التوبيخي ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ... والمعنى : أفلم يهد لهم إهلاكنا القرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط ،حال كونهم ماشين في مساكنهم ، إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم " إن في ذلك " تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم ، وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى : " كم أهلكنا " ، (لآيات) كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق " لأولي النهى " لذوي العقول الناهية عن القبائح التي أقبحها إعراض كفار مكة عن آيات الله ، وتعاميهم عنها ... .[1]

بهذا يتضح لنا السر البلاغي الذي اقتضاه المعنى في ختم آية إبراهيم بـ "أولى الألباب " وختم آية " طه " " بأولى النهى" ولا ننكر على ابن الصائغ قوله برعاية الفاصلة فذلك جانب مرعى تماما في فواصل القرآن الكريم .

التاسع عشر : حذف المفعول ، نحو : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ (الليل ٥) وقوله : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى ٣) ومنه حذف متعلق " أفعل التفضيل " نحو قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه ٧) وقوله : ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (الأعلى ١٧) .

بالنسبة إلى حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ قال أبو حيان : " المقصود من حذف مفعولي " أعطى " الثناء على المعطِي دون تعرض المعطَى والعطية ، وظاهره بذلك المال في واجب ومندوب مكرمة " .[2]

فالإعطاء في الآية مقابل بالبخل ، وكل بخل في القرآن يتعلق بالمال وبما آتى الله من فضل ، باستقراء مواضع وروده في المصحف وعددها إحدى عشر

١ تفسير أبى السعود ٦/ ٤٤ ، ٤٩ وروح المعاني ١٦ / ٢٧٩
٢ البحر المحيط ٤٧٨/٨

موضعاً ... و إنه لكذلك ، الإعطاء بالمال والبخل به في آيتي الليل " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ " " وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ " بشاهد من النص بعدهما فيمن بخل " وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ " ، وفيمن أعطى " ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ " وإعطاء المال أو البخل به ، إنما يكونان فيما يجب أن ينفق فيه المال من وجوه الخير وأداء حق الله فيه إلى من يستحقونه زكاة وصدقة وبركة على ما هو بين من تدبر الاستعمال القرآني للمال والأموال .[1]

وبالنسبة إلى حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ .
وقف المفسرون طويلاً عند حذف ضمير الخطاب في " قلى" فقال الزمخشرى " إنه اختصار لفظي لظهور المحذوف "[2] ونظر له بقوله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (الأحزاب ٣٥) . وهو قريب من قول الطبري في تعليل الحذف " إنه اكتفاء بفهم السامع لمعناه إذ كان قد تقدم ذلك قوله : ما ودعك ، فعرف بذلك أن المخاطب نبي الله ﷺ "[3] .

وقال النيسابورى مضيفاً سبباً آخر غير الاختصار وهو رعاية الفاصلة "[4] وبذلك قال الفرّاء في " معاني القرآن " بأن يكتفي بالكاف الأولى - في ودّعك" - من إعادة الأخرى ، ولمشاكلة رؤوس الآيات بالياء "[5] إن تعليل الحذف لمشاكلة الآيات أو لرعاية المناسبة ، ليس من المقبول مطلقاً وذلك أن البيان القرآني لا يقوم على اعتبار لفظي محض . وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل ، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا - لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ وليس في السورة كلها " ثاء" فاصلة بل ليس فيها حرف " ثاء "

---

١ التفسير البياني ١٠٥/٢ ، ١٠٦
٢ الكشاف ٢٦٣/٤ ، ٢٦٤
٣ تفسير الطبري ١٤٧/٣٠
٤ غرائب القرآن ١٠٨/٣٠
٥ معاني القرآن ٢٧٣/٣

على الإطلاق ولم يقل ـ الحق سبحانه ـ فخبّر (بدلاً من فحدث) لتتفق الفواصل أو لتتشاكل رؤوس الآيات على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به .

والذي نراه ونطمئن إليه في هذا المقام والذي يفرضه السياق أن الحذف هنا تقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة في اللطف والإيناس هى تحاشى خطابه تعالى لرسوله وحبيبه المصطفي ﷺ في مقام الإيناس بصريح القول " وما قلاك" لما في القلى من حسن الطرد والإبعاد وشدة البغض أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء " .[١]

أما قول الفراء وغيره بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف فذلك اعتبار نحوى يتعلق باللفظ وإنما ما بيناه يتعلق بالمعنى وهو لب المقصود ، والله أعلم .

ولهذا نظير في القرآن الكريم من اللطف في الخطاب مع النبي ﷺ حتى في أشد مواضع العتاب نحو قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ (عبس ١ ـ ٢) فلم يواجهه بالعبوس والتولي .[٢]

---

١ انظر التفسير البياني ٣٥/١ ، ٣٦ والإعجاز البياني ٢٦٨ ، ٢٦٩ ومن أمثلة حذف المفعول قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾ (الشعراء ٧٢ ـ ٧٣) فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضر . وقد تظن انه إنما فعل ذلك لفواصل الآي ، ولا شك أنه لو ذكر المفعول به لم تُنسجم الفاصلة مع فواصل الآي ، ولكن الحذف اقتضاه المعنى أيضاً فقد ذكر مفعول النفع فقال (ينفعونكم) لأنهم يريدون النفع لأنفسهم . ،أطلق الضر لسببين : **الأول** : أن الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنما يريده لعدوه . **والآخر** : إن الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضر موضع إطلاق ، فخص النفع وأطلق الضر ، والمعنى أن هذه الألهة لا تتمكن من الأضرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها ، ولو ذكر المفعول به فقال (أو يضرونكم) لما أفاد هذين المعنيين ـ فانظر كيف أن الإطلاق في الضر اقتضاه المعنى علاوة على الفاصلة ،) فاضل السامرائي . التعبير القرآني صـ ١٩٧)

٢ قال القرطبي : جاء " بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيما له ، ولم يقل : عبست وتوليت . ثم أقبل عليه بمواجهة المخاطب تأنسا له فقال : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ (عبس ٣) أي يعلمك ونظير هذه الآية في العتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ (الأنعام ٥٢) وكذلك قوله : ﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ (الكهف ٢٨) (تفسير القرطبي ١٣٩/٩-١٤٠)وجاء في حاشية الصاوى " إنما أتى بضمائر الغيبة تلطفاً به ﷺ وإجلاله لما في المشافهة بتاء الخطاب مالا يخفي من الشدة والصعوبة (حاشية الصاوي على الجلالين ٢٩٢/٤) .

وأما بالنسبة إلى قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه ٧) وقوله : ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه ٧٣ ، ١٣١) حيث حذف متعلق اسم التفضيل وذلك ليترك للنفس أن تذهب فيه كل مذهب ، وكأنما جعل الحذف لضيق البيان عن تحديد ذلك المتعلق أو وصفه وترك النفوس تقدر ما تشاء ولن تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك "[1] . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (الروم ٢٧) أي إعادة الخلق بالنسبة إلى الله تعالى أهون بكثير من بدء الخلق إذ خلق الخلق بأمره كن فيكون . وهنا تتجلى حكمة الحذف في هذه المواضع وما تضيفه للكلام من بلاغة وحكمة .

يقول عبد القاهر : " ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هنالك أحسن من ذكره ، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به "[2] .

العشرون : **الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو** : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه ١١٧) . الخطاب في هذه الآيات في معظمه لآدم ، إذ الآيات بعد ذلك ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ (طه ١١٨-١١٩) .

قال الفرّاء : ولم يقل : "فتشقيا " ؛ لأن آدم هو المخاطب ، وفي فعله اكتفاء من فعل المرأة[3] .

وقال **القرطبي** : " ولم يقل فتشقيا ؛ لأن المعنى معروف وآدم عليه السلام هو المخاطب وهو المقصود ، وأيضاً لما كان هو الكاد عليها والكاسب لها كان بالشقاء أخص ... ومن ذلك يعلم أن نفقة الزوجة على الزوج ، وأن

---

١ الإتقان ١٩٠/٣
٢ دلائل الإعجاز ١٥٢ ، ١٥٣
٣ معاني القرآن ١٩٣/٢

النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة : الطعام والشراب والكسوة والمسكن " .[1]

الحادي والعشرون : **الاستغناء بالإفراد عن الجمع نحو ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾** (الفرقان ٧٤) ولم يقل " أئمة " كما قال : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (الأنبياء ٧٣) ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي أنهار (القمر ٥٤) .

قال **الفرَّاء** : ولم يق " أئمة " لأنه يجوز في الكلام أن تقول : أصحاب محمد أئمة الناس وإمام الناس كما قال ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء ١٦) للاثنين ومعناه : اجعلنا أئمة يُـقْـتَـدى بنا .

وقال **القرطبي** : " قال **الأخفش** : الإمام جمْع « آمّ » من «أمّ - يؤمّ » جمعٌ على « فِعَال » ، نحو : صَاحب وصِحَاب ، وقائم وقيام " .[2]

وقال **أبو السعود** : " وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس[3] كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (غافر ٦٧) .

وقال **الألوسي** : وأفرد مع لزوم المطابقة لأنه اسم جنس فيجوز إطلاقه على معنى الجمع مجازًا ، أو لأن المراد واجعل كل واحد منا " إمامًا " أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم ... فالظاهر أنه صدر عن كل واحد قول : « واجعلني إماما » فعبر عنهم للإيجاز بصيغة الجمع وأبقى إماما على حاله.[4]

أما بالنسبة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾

---

١ تفسير القرطبي ١٦٨/١١
٢ تفسير القرطبي ٥٦/١٣
٣ تفسير أبي السعود ٢٣١/٦
٤ روح المعاني ٥٣/١٩

قال ابن عباس : النَّهَر : " السعة " واستشهد بقول الشاعر :

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها [1]

وكلمة " نهر" بفتح الهاء ومعناه : الضياء والسعة أي (في سعة من الرزق والمقام وفي ضياء) . [2]

وتضيف الدكتورة عائشة عبد الرحمن : " ويبقى للنهر مع هذه الدلالة المجازية على السعة ملحظ من خير ونعمة في حِسّ العربية للنهر واحد الأنهار ، مياهها عذبة ، ويضفي عليها القرآن معنى البركة والخير في الجنة « تجرى من تحتها الأنهار » وهو الغالب على الاستعمال القرآني " . [3]

وعلى هذا فمعنى الكلمة (نهر) مع جنات للمتقين يحتمل معنى الفيض من الخير والبركة والنعيم وسعة الرزق وهذا أولى بالمقام ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر ٥٥) .

ويؤكد ذلك الشيخ " سيد قطب " بقوله [4] : " وهي صورة للنعيم بطرفيه نعيم الحس والجوارح في تعبير شامل " في جنات ونهر" يلقى ظلال النعماء واليسر حتى في لفظه الناعم المناسب ، وليس لمجرد إيقاع لفاصلة . [5]

تجئ كلمة « نهر » بفتح الهاء ذلك لإلقاء ظل اليسر والنعومة في جُرس اللفظ وإيقاع التعبير .

<u>الثاني والعشرون والثالث والعشرون</u> : الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن ٤٦) قال

---

١ البحر المحيط ١٨٢/٨ ، وروح المعاني ٩٥/٢١
٢ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية صـ ٥٤٤
٣ الإعجاز البياني للقرآن صـ ٣٧٦
٤ في ظلال القرآن – تفسير سورة القمر ٣٤٤٢/٦
٥ ذكرها (القافية)

الفرّاء : أراد جنة [1] كقوله تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات ٤١) فثنى لأجل الفاصلة.

ونظير ذلك قول الفرّاء في قوله تعالى ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ (الشمس ١٢) فإنهما رجلان قدار وآخر معه ، ولم يقل " أشقياها للفاصلة .

بالنسبة لآية « الرحمن » أنكر **ابن قتيبة** (ت٢٧٦هـ) على الفرّاء ما ذهب إليه من تثنيه لفظه " جنة " لأجل الفاصلة أو لغرض الإيقاع ؛ لأن ذلك يجعل الحقيقة في جانب والإيقاع في جانب آخر ، ويصير المعنى تابعا للإيقاع ، وكلام الله – عز وجل – يجل عن هذا . يقول **ابن قتيبة** " وهذا من أعجب ما حُمل عليه كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ونجيز على الله جل ثناؤه – الزيادة والنقصان في الكلام لرأس الآية ، وإنما يجوز في رءوس الآي هاء للسكت كقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ (القارعة ١٠) أو " ألف" كقوله ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (الأحزاب١٠) أو "حذف همزة " من الحرف ، كقوله تعالى ﴿ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ (مريم ٧٤) أو " ياء " كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (الفجر ٤) لتستوي رءوس الآي على مذاهب العرب في الكلام فأما أن يكون الله – عز وجل – وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة من اجل رءوس الآي فمعاذ الله [2] وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين ، قال ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [3] (الرحمن ٥٠) .

قال الفراء : " ذكر المفسرون أنهما بستانان من بساتين الجنة وقد يكون من العربية جنة تثنيها العرب في أشعارها . أنشدني بعضهم :

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرَّتين   قَطَعْتُهُ بالأَمِّ لا بالسَّمْتَيْنِ

يريد مهمهًا وسمتًا واحدًا . وأنشدني آخر :

---

١ جاء في معاني القرآن قول الفراء : " وقد يكون في العربية جنة تثنيها العرب في أشعارها " (١١٨/٣)
٢ تفسير غريب القرآن صـ ٤٤٠
٣ معترك الأقران ٣٦/١ ، ٣٧

يسعى بكيداء ولهذمين   قد جعل الأرطاة جنتين

وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام " .[1]

وهذا القول ، فضلاً عما فيه من تصريح بمماثلة القرآن للشعر ، يمس قضية أكثر من ذلك ، إذ يؤدى إلى القول بمخالفة التعبير القرآني للحقيقة لأنه يقول " جنتان " فيثنى والحاصل أنها جنة واحدة .

وقد أثارت الآية بين العلماء اضطرابًا شديدًا لخروجها على نمط التعبير الذي دأب عليه القرآن من استعمال الجنة بغير لفظ التثنية . ولذلك كان القول بالجنتين في سورة الرحمن مفاجأة لم يتهيأ لها الفكر الديني الذي استقر له في نظام التصور غير ذلك . فالقول بالجنتين يتعارض مع القول بالجنة الواحدة . ولا يتهيأ للفكر الديني أن يأتلف القولان إلا على نحو من التأويل يستوعب فيه أحدهما الآخر ولذلك تباينت أقوال المفسرين تباينًا شديدًا . فقيل : إن المراد بالجنتين ، جنة للخائف من الإنس ، وجنة للخائف من الجن . وقيل : بل جنتان للخائف من الطرفين : جنة لعقيدته وجنة لعمله . وقيل : بل جنة لعمل الطاعات وثانية لترك المعاصي ... وقيل جنة روحية وجنة جثمانية ... إلخ .[2]

أما **السهيلي** فقد تأول الآية القرآنية تأولاً يخرج بها عن القول بالتثنية وإرادة معنى المفرد . فذهب على أن تسمية الجنة جنتين يقع في فصيح الكلام ، إشعارًا بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها ونظرت إليها يمينًا وشمالاً رأيت من كلتي الناحيتين ما يملأ عينيك قرة وصدرك مسرة . قال : " وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[3]

(الرحمن ٤٦) وهذه الآراء على كثرتها لا تفض إشكال الآية .

وعندي أنه لا يمكن فهم الآية منفصلة عن وجودها في السورة ، فهي المحيط الذي نشأت فيه ، ولا يتأتى عزلها عن هذا المحيط . فهي تحمل خصائص الانتماء للسورة ، وعزلها عنها يقصيها عن كل معنى يضفيه هذا الانتماء . فالتثنية هى القوة التي تهيمن على كل مظاهر التعبير في السورة ،

---

١ معاني القرآن ٣/ ١١٨

٢ انظر : سورة الرحمن للدكتور شوقي ضيف صـ ١١٣

٣ الروض الأنف ١/ ١٢٦

ومنها هذه الآية ... إذ كان القرآن تعبيرًا عربيًا يحمل كل خصائص اللغة التي نزل بها .

فكما تكثر في سورة الرحمن الأسماء المثناة بالألف والنون أو الياء والنون ، ومنها قوله تعالى : المشرقين ، والمغربين ، والبحرين ، والثقلان ، وجنتان ، وعينان ، وزوجان ... تكثر فيها التثنية عطفًا بالواو ، ومنها : الشمس والقمر ، والنجم والشجر ، اللؤلؤ والمرجان ، الجن والأنس ، تار ونحاس ، النواصي والأقدام ، الياقوت والمرجان .

واستقصاء هذه الأمثلة ضروري للتعرف على الروح العام الذي يسيطر على السورة ؛ لأن البحث في العمل الأدبي ، فيما أرى ، ينبغي أن يلتمس طريقه بواسطة البحث عن مظاهر التعبير الغالبة عليه والأنماط المتكررة فيه .

فالتثنية في العربية " ميكانزم " [1] خاص يظهر يتتبعه واستقصاء أمثلته فيها . [2]

ثم إن من طبيعة هذا " الميكانزم " اللغوي للمثنى أنه يسمح بأكثر من تفسير له ولا يقيده بتفسير واحد . فقد قيل المراد بهذا كله غدوة وعشية [3] وقالوا الأسودان الحية والعقرب ، والأسودان التمر والماء ، والأسودان العينان [4] . فهذا كله تفسر فيه صيغة التثنية بالحرف بصيغة من التثنية بالعطف . وتعبر التثنية بالعطف فيه عن نفسها بأمثلة متعددة .

ومثل ذلك أن تفسر صيغة التثنية بالعطف بأمثلة من صيغة التثنية بالحرف ، كالذي قالوه في الليل والنهار ... الحدثان والدائبان والصرفان ... إلخ [5] .

---

١ لم أشأ أن أستبدل بهذه اللفظة سواها من الألفاظ العربية لئلا يغيب المعنى الأساسي الذي قصدته بها ، وهو التكامل والارتباط بين أجزاء النظام الواحد كالآلة التي يدفع بعض أجزائها إلى بعض بالحركة المتصلة . الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية صـ ١٠١ – ١١٠ (بتصرف)

٢ أفرد كثير من علماء العربية للمثنى أبوابا وكتبا ومنهم أبو الطيب اللغوي وله كتاب المثنى ، وابن فضل الله المحبي وله جنى الجنتين في تمييز نوعى المثنى ، وابن السكيت في كتابه اصطلاح المنطق والسيوطي في كتاب المزهر . وقد اعتمدنا عليهم جميعاً في المادة اللغوية المتعلقة بهذا الموضوع .

٣ المثنى ص ٦٣٢ ما بعدها . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٥ الجزء الرابع

٤ المزهر ٢/ ١٨٤ ، ١٨٥

٥ جنى الجنتين في تمييز نوعى المثنى لابن فضل الله المحبي ص ٤٨ ، ٦٩

ويلتقي التعبير في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ بتاريخ العلاقة بين المثنى بالحرف والمثنى بالعطف ... والسورة تغلب عليها الصيغتان جميعًا . فإذا كانت " الشمس والقمر " تؤول إلى القمرين ، فإنها قد تؤول بأثر الميكانزم اللغوي إلى غير ذلك . فلا عجب إذا قلنا : إنها آلت في سورة الرحمن إلى " جنتان " ، كما آلت إلى القمرين في غير السورة ؛ لأنا لا نعني بالشمس والقمر إلا مظهرًا تعبيريًّا للصيغة ، وهي لا تتجلى في الشمس والقمر إلا كما تتجلى في « الجن والإنس » و « النواصي والأقدام » و « الياقوت والمرجان » ... الخ ... وقد صح في السورة أن تؤول " الجن والإنس " إلى " الثقلان " على نحو ظاهر . و" البحرين " تحمل في جوفها ما فسرها به علماء العربية من البحر والنهر ولكن إذا استطلعنا في الثقلان " الجن والإنس " والبحرين " البحر والنهر " ، ولم نستطلع مثله في « جنتان » و « عينان » و « المشرقين » و « المغربين » ... إلخ ، فإن المنطق اللغوي قد هيأها لاستقباله ، ومكّن لها في كل سور التثنية بالعطف في السورة .[1]

ومن هذا يظهر أن فراغ قول الفراء في الآية لا يتحصل بكونه ساوَى بين القرآن والشعر ، أو لكونه قال بالضرورة في القرآن ، بل لأنه يؤدي إلى تدمير المبدأ الرئيسي في السورة ، وهو القوة الفاعلة التي تحركت عنها التركيبات الرئيسية فيها . وفراغ قول غيره إنما يتحصل بأنه يخلع التعبير عن نظامه الذي لا يتأتى له معنى إلا به فيضاهى بين قوله : « جنتان » وقوله : « الجنة » وقوله : « جنات » ، فيجده أفرد مرة وثنى مرة أخرى وجمع ثالثة . ولا محل لذلك هنا ، فإن انتماء " جنتان " إلى المشرقين والبحرين والثقلان ... إلخ ، أقوى من انتمائها إلى الجنة والجنات ؛ لأن القوة الأساسية إنما هي لصيغة التثنية دون مادة التعبير نفسها .

وقد تحرك عن هذا المبدأ أيضًا تكرير الكلام بعد قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ

---

[1] الضرورة الشعرية صـ ١١٨

فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الرحمن ٤٦ – ٥٨) حيث عاد فقال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الرحمن ٦٣ – ٦٨) إلخ . ووجه هذا التكرير أنه مظهر من مظاهر التعبير عن مبدأ التثنية بصورة أخرى من صور التعبير .

ولا تتضام الجنتان والجنتان من قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ وقوله : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ إلا كما تتضام الجنتان والعينان ، والمشرقان والمغربان ، حيث يبطل القول بأنه يتحصل من الجنتين والجنتين ما يتحصل من إضافة الاثنين إلى الاثنين ؛ لأن هذا لا يتحصل في الحقيقة من إضافة الجنتين إلى العينين . فالتثنية مبدأ قابل للتكرير على صور شتى لا تستنفده الاستعمالات اللغوية وإن تعددت ، ولا تفنيه صور التعبير إن اختلفت ، وبهذا يظهر بطلان الجمع الحسابي لأنه يبطل به مبدأ التثنية نفسه .

وقد دلت السورة على عموم التثنية في الإنسان والكون بالإلحاح على فكرة الميزان ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ (الرحمن ٧ – ٨) والميزان هنا هو الثنائية المنبثة في شتى حقائق الأشياء وهو المبدأ الذي يستقيم به أصل الوجود ، وعليه قامت فلسفة البعث باعتباره مبدأ لا ينكسر . إذًا فالتثنية قوة جبرية تترامى إليها كل مظاهر التعبير في السورة على اختلافها وتباعدها ، ومن هذا كله يظهر أن التعبير بخروجه عن النمط المألوف وعدوله عما يطرد عليه الاستعمال اللغوي يكشف عن الروح العام الذي يسيطر على السياق الذي ينتمي إليه .[١]

---

١ الضرورة الشعرية صـ ١٢٥

ذكر **الألوسي** عدة أوجه في المقصود بالجنتين : قيل : بستانان : بستان داخل قصره ، وبستان خارجه ، وقيل : منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته ، وقيل : لعقيدته وجنة لعمله ، أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية ... الخ .

وقد أخرج **البيهقي** في « شعب الإيمان » عن الحسن أنه كان شاب على عهد عمر ﷺ ملازم للمسجد والعبادة ، فعشقته جارية ، فأتته في خلوه ، فكلمته فحدثته نفسه بذلك فشهقة فغشى عليه فجاء عمٌ له فحمله إلى بيته ، فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر فأقرئه منى السلام ، وقل له : ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فانطلق فأخبر عمر وقد شهق الفتى شهقة أخرى فمات ، فوقف عليه عمر – ﷺ - فقال : لك جنتان : لك جنتان .[1]

هل بعد هذا يقال إن التثنية مقصودة لرعاية الفاصلة ، إن المسألة مسألة المقام والسياق أولا بجانب رعاية الإيقاع ثانيًا .

ومن أحسن ما قيل في ذلك ما جاء في تفسير (الفخر الرازي) انه سبحانه لما ذكر قبل هذه الآية عن جهنم التي عاينها المجرمون أنهم " يطوفون بينها وبين حميم آن " ويفهم منه أنهم كلما فارقوا عذابا وقعوا في آخر – وفي ذلك مضاعفة العذاب – ذكر هنا أن من خاف مقام ربه له جنتان ، والخائفون لا يطوفون بالجنة ، وإنما هم فيها ، كما أنهم ملوك في جناتهم يُخدَمون ولا يَخدِمون تقديرًا لهم وإجلالا.

وبهذه المقارنة يظهر البَوْن الشاسع بين جزاء كل من الفريقين ، ولذلك استدعي المقام ذكر الجنتين [2] أي أن مضاعفة النعيم لمن خافوا ربهم يناسب ما ذكر قبله من مضاعفة العذاب للمجرمين .

أما بالنسبة لآية الشمس : ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ (الشمس ١٢) قال الفراء : " ولم يقل : « أشقياها » وذلك جائز لو أتى ؛ لأن العرب إذا أضافت « أفعل » التي يمدحون بها وتدخل فيها « من » إلى أسماء وحدوها في موضع الاثنين والمؤنث والجمع فيقولون للاثنين : هذان أفضل الناس ، وهذان خير الناس ، ويثنون أيضًا ... .

---

١ تفسير الألوسي ١١٦/٢٧

٢ تفسير الرازي ١٠٨/٢٩ - ١٠٩

وأنشدني آخر في الوحيد وهو يلوم ابنين له :

يا اخبث الناس كل الناس قد عملوا لو تستطعان كنا مثل معضاد

فوحد ، ولم يقل يا أخبثي ، وكل صواب ، ومن وحد في الاثنين قال في الأنثى أيضا هي اشقي القوم ، ومن ثني قال : هي شقيا النسوة علي فعلي وأنشدني المفضل الضبي :

غبقتك عظماها سناما أو انبري برزقك براق المتون أريب [1]

إذا فالفراء لم ينص علي أن عدم التثنية لأجل الفاصلة كما زعم **ابن الصائغ** ، بل قال :وذلك جائز وأيد رأيه بما جاء في شعر العرب الفصحاء . ويفهم من هذا أن أفعل التفضيل المضاف إلي معرفة مثل أشقاها يجوز فيه –في العربية – المطابقة وعدمها فتقول – في عدم المطابقة – الزيدان أفضل القوم ، والزيدون أفضل القوم ، وهند أفضل النساء ، والهندان فضليا النساء ، والهندات أفضل النساء – وتقول (في المطابقة) : الزيدان أفضلا القوم ، والزيدون أفضلو القوم أفاضل القوم ، وهند فضلى النساء ، والهندان فضليا النساء ، والهندات فُضَّلُ النساء أو فُضْليات النساء .

وقد ورد الاستعمالان في القرآن ، فمن استعماله غير مطابق قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (البقرة ٩٦) ومن استعماله مطابقا قوله تعالي : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ (الأنعام ١٢٣) وقد اجتمع الاستعمالان في قولهﷺ" ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون " [2] وبعد إذا كان هذا جائزًا في العربية وواردا في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وفي شعر العرب فلا مبرر للقول بأن فيه عدولا عن الأصل لأجل الفاصلة كما زعم ابن الصائغ وحسب ، وإنما المعنى والسياق والاستعمال العربي استدعى ذلك .

---

١ معاني القرآن ٢٦٨/٣

٢ انظر : " شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك " ١٨١/٣ . مكتبة دار التراث ، وراجع : " قطر الندى وبل الصدى " لابن هشام صـ ٢٨١ . المكتبة العصرية . بيروت .

وقد نقل ابن الصائغ عن الفراء أنه أراد جنات ، فأطلق الاثنين علي الجمع لأجل الفاصلة ثم قال : وهذا غير بعيد ، قال : وإنما أعاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو الثالث والعشرون .

ولست أرى بعد الذي قدمناه ضرورة للتأويل والتمحل في التماس أوجه شكلية في كلام الله عز وجل وإنما هما جنتان كما أراد الحق سبحانه وتعالي .

الرابع والعشرون : **الاستغناء بالجمع عن الإفراد** نحو ﴿ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ (إبراهيم ٣١) أي ولا خلة كما في الآية الأخرى [١] وجمع مراعاة للفاصلة.

قال الراغب في " خلال " قيل هو مصدر من خالت وقيل هو جمع يقال خليل وأخِلـّة وخلال [٢] .

وقال **ابن منظور** : " والخلال والمخالة : المصادقة " .

قال **امرؤ القيس** :

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الخلال ولا قالي [٣]

وبمثل ذلك قال الزمخشري [٤] والرازي [٥] .

ووضح **الألوسي** : المقصود بالإفراد أو الجمع بقوله : " والمراد واحد وهو نفي أن يكون هناك خليل ينتفع به بأن يشفع له يسامحه بما يفتدي به " [٦] .

ولو تأملنا عبارة الألوسي هذه نجد أنها تنفي الخلة وكل ما يشابهها أو يتعلق بها كالشفاعة أو المسامحة أو الافتداء بشيء .

---

١ يقصد بالآية الأخرى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ (البقرة ٢٥٤) .

٢ مفردات الراغب – انظر مادة (خلل) .

٣ لسان العرب – مادة (خلل) .

٤ الكشاف ٣٧٨/٢

٥ التفسير الكبير ٩٩/١٩

٦ روح المعاني ٢٢/١٣

إذن فعلى القول بالجمع – في آية إبراهيم – لا منافاة بين الإفراد في آية البقرة لأن المراد نفي الجنس في كليهما ، ولعل وجه إيثار الجمع – في إبراهيم – على المفرد – في البقرة – أنه لما لم يذكر " شافعة في إبراهيم كما ذكرت في البقرة ذكر الجمع ليتناول نفي الخلة وكل ما يشابهها أو يرتبط بها كالشفاعة وغيرها ، ولا يغيب عنا ما بين الخلة والشفاعة من ارتباط .

<u>الخامس والعشرون</u> : إجراء غير العاقل مجرى العاقل ، نحو ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ (يوسف ٤) .

قال **الشريف الرضي** : " هذه استعارة لأن الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل فكأن الوجه أن يقال : ساجدة ، لكنها لما أطلق عليها فعل من يعقل جاز أن توصف بصفة من يعقل ؛ لأن السجود من فعل العقلاء ، وهذا كقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ (النمل ١٨) فلما كانت النمل في هذا القول مأمورة أمر من يعقل ، جرى الخطاب عليها جريه على من يعقل ... وقد يجوز أيضًا أن يكون قوله في ذكر الكواكب والشمس والقمر﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ إنما حسن على تأويل تلك الرؤيا وتأويلها تناول من يعقل من إخوة يوسف وأبويه فجرى الوصف على تأويل الرؤيا ومصير العقبى ، وهذا موضع حسن ، ولم يمض بي لمن تقدم [1] .

وقريب من هذا قول **الزمخشرى** : فأن قلت : فلم أجريت مجرى العقلاء في ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ ؟ قلت : لأنه لما وصفها بما هو خالص بالعقلاء - وهو السجود - أجرى عليها حكمهم ، كأنها عاقلة . وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارًا لأثر الملابسة والمقاربة [2] فالزمخشرى هنا يلحظ ملحظًا بيانيا – كالشريف الرضى – في إجراء غير العاقل مجرى العاقل وهو تلبسه بصفة من صفات العقلاء فأعطى حكما من أحكامه إظهارًا لأثر الملابسة ، وزاد الرضى وجها آخر بأن جرى الوصف على تأويل الرؤيا بمن يعقل من إخوة يوسف وأبويه ، وهو وجه

---

١ تلخيص البيان صـ ١١٣ ، ١١٤
٢ الكشاف ٣٠٢/٢ ، ٣٠٣

حسن تفرد به الرضى . وهكذا يكون المعنى ذا أثر كبير في فاصله الآية بجانب ما تحققه من إيقاع يتناسب والفواصل المصاحبة لها .

السادس والعشرون : إمالة ما لا يُمال كأي طه والنجم .

واعتقد أن الإمالة غرضها الأساسي قصد المناسبة [1] وقد عبر ابن يعيش عن الغرض من الإمالة بعده تعبيرات فقال : الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل [2] وقال الغرض منالا ماله إنما هو مشاكله أجراس الحروف والتباعد عن تنافيها [3] إذن فالواضح من هذه الأقوال أن الغرض من الإمالة يتعلق بالناحية الصوتية (مراعاة الإيقاع الموسيقى للآيات) وهو جانب مهم وجزء من الاهتمام بالفاصلة .

أما كون الإمالة لها ملحظ بياني معنوي فلم أقف على ذلك .

السابع والعشرون : الإتيان بصيغة المبالغة كقدير ، مع ترك ذلك في نحو ﴿ هُوَ ٱلۡقَادِرُ ﴾ (الأنعام ٦٥) و ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ (المؤمنون ٩٢) ومنه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾ (مريم٦٤) . [4]

ولعله من المفيد أن نعرف سبب نزول الآية لنعيش مع السياق ، سأل المشركون رسول الله ﷺ عن أشياء ، فلم يدر الجواب عنها فوعدهم أن يجب عليهم ، ولم يقل : إن شاء الله ، فاحتبس الوحي عنه أربعين يوما – وقيل خمسه عشر يوما – فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فلما نزل جبريل قال له النبي ﷺ أبطأت عنى حتى ساء ظني واشتقت إليك ، قال : كنت إليك أشوق ، ولكني عبد مأمور ، إذا بعثت نزلت ، وإذا احتبست احتبست ، فأنزل الله الآية ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ ﴾ وأنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا

---

١ شرح شافية ابن الحاجب ٥/٣

٢ شرح المفصل لابن يعيش ٥٣/٩

٣ نفسه ٥٨/٩ ، وراجع ما كتبناه عن " الإمالة " صـ من هذا البحث

٤ الآية كاملة : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾ (مريم٦٤) .

تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الكهف ٢٣) وانـزل سوره الضحى ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل .... ولا يكون إلا بأمر الله عز وجل [١] النَّسِيّ : كثير النسيان ، يكون فعيلا وفعلا وفعالا ، وف عيل أكثر ، لان لو كان وحكيم ، وعالم وعليم وشاهد وشهيد ، وسامع وسميع ، وفي التنزيل ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي لا ينسى شيئا ، وقال الزجاج : معناه والله اعلم ما نسيك ربك يا محمد ، وان تأخر عنك الوحي [٢] فعدم النزول لم يكن إلا لعدم الأمر به لحكمه بالغة فيه ، ولم بكن لتركه تعالى لك وتوديعه إياك كما زعمت لكفره – وفي أعاده اسم الرب المغرب عن التبليغ إلى الكمال اللائق مضافا إلى ضميره ﷺ من تشريفه والإشعار بعلة الحكم ما لا يخفي " [٣] وأرى أن المقام هنا مقام إيناس لرسول الله ﷺ وإدخال السرور عليه وإشعاره بأن ربه ما تركه وما قلاه ، ونفي المبالغة هنا قد يبدو في ظاهره إثبات لأصلها مع أن أصلها مستحيل على الله تعالى ، وعلى ذلك يكون المناسب هو اسم الفاعل لا صيغة المبالغة ، ولكن الواقع أن النسيان هنا مجاز عن الترك وعلى هذا تكون المبالغة منصرفة إلى طول مدة الترك ، وأما أصل الترك فثابت لحكمة بالغة يعلمها الحق سبحانه وتعالى ، ولذلك كان عدم التنزل . إذن فلم يكن عدم التنزل لان الله تركك أو نسيك وإنما لحكمة بالغة هو يعلمها بدليل قوله بعد ذلك ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ففيه بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى ، فإن بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما لا يعقل أن يحوم حول ساحة عظيمة الغفلة أو النسيان .

أما قوله ﴿ هُوَ ٱلْقَادِرُ ﴾ في الأنعام ، و ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ في المؤمنون ، فليستا بفاصلة .

الثامن والعشرون : إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض [٤]

نحو: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص ٥) أوثر على عجيب لذلك .

---

١ تفسير النيسابوري ٦٠/١٦ ، وتفسير الزمخشري ٥١٦/٣ مع تصرف يسير في النص .
٢ لسان العرب – مادة (نسي)
٣ تفسير أبي السعود ٢٧٣/٥ . ط بيروت ، وانظر : روح المعاني ١١٤/١٦ - ١١٥
٤ المعترك ٣٧/١ ، والإتقان ٣٤٣/٣

ليس من الإنصاف للبيان الأعلى والكلام المعجز أن يلتفت إلى النسق اللفظي دون الالتفات إلى الملحظ البياني الذي يقتضيه المعنى وحينما نستعرض السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝ ﴾ (سورة ص ٤ ، ٥) .

فالكافرون ألِفوا تعدد الآلهة وحياة الهمجية ، فلما جاءهم محمد ﷺ يدعوهم إلى عبادة إله واحد أحد وترك عبادة الأصنام التي ألفوها ووجدوا آباءهم يعبدونها ، فكان هذا بالنسبة لهم شيئا عجيبًا اشد العجب ، بل شيئا بليغا في العجب " أي مبالغة في العجب ، فإن « فُعالاً » بناء مبالغة ، كرجل طُوال وسُراع . ووجه تعجبهم أنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على تعدد الآلهة ، وواظبوا على عبادتها ، وقد كان مدارهم في كل ما يأتون ويذرون التقليد ، فيعدون خلاف ما اعتادوه عجبًا بل محالاً .[1]

قال صاحب « العين » : " بين العَجيب والعُجاب فرق ، أما العجيب : فالعجب يكون مثله ، وأما العجاب : فالذي تجاوز حد العجب و استدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ .[2]

جاء في « البرهان » قول المعري في « اللامع العزيزي » [3]: "
فعيل " إذا أريد به المبالغة نقل به إلي " فُعَال " وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا : " فُعّال " ذلك من عجيب وعُجَاب وعُجّاب ، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي : " إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَّابٞ " بالتشديد .[4]

---

١ المعترك ٣٧/١ ، والإتقان ٣٤٣/٣

٢ روح المعاني ١٦٦/٢٣ ، وانظر الكشاف ٣٦٠/٤ ، والتفسير الكبير ١٥٥/٢٦

٣ اللامع العزيزي كتاب لأبي العلاء المعري في شرح غريب شرح أبي الطيب المتنبي ، عمل الأمير معز الدولة ثابت بن الأمير معز الدولة أبي العوان (إنباه الرواة ٦٥/١)

٤ البرهان ٥١٣/٢ ، ٥١٤

جاء في سورة « ق » قوله تعالي : ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق ٢) فمناط العجب هنا كون الرسول منهم ، وكونه بشرا مثلهم ، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وقد كانوا يظنون أن يكون الرسول ملكا .

وجاء في سورة « ص » قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص ٥) عـدول من صيغة « فعيل » إلى صيغة « فـُعَال » للدلالة على شدة التعجب ؛ لأن الرسول ﷺ أتاهم بغير ما ألفوه واعتادوه ، فكانت نسبة العجب أشدّ .

وجاء في سورة " نوح " ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ (نوح ٢٢)

في " كـُبـَّـارا " بالتشديد « فـُعـَّـال » عدل إليها لإفادة شدة المكر .

قال الراغب : " والكـُبَار " أبلغ من " الكبير " و" الكـُبـَّـار " أبلغ من ذلك.[١]

واستدل بقوله تعالي : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ وبمثل ذلك قال الزمخشري .[٢]

إذا فليس العـدول عن صيغة إلي أخري – في البيان المعجز – سببه مراعاة الفاصلة فحسب وإنما حسبما يتطلب المعني من الدلالة علي العجب ودرجة شدته .

التاسع والعشرون : الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو :

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (طه ١٢٩)

---

١ مفردات الراغب صـ ٤٢٣
٢ الكشاف ١٦٤/٤

قال الزمخشري : الكلمة السابقة هي العِدَةُ بتأخير جزائهم إلي الآخرة ، يقول : لولا هذه العِدَة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة ، و « اللزام » إما مصدر « لازم » وصف به ، وإما « فِعَال » بمعني « مَفْعَل » أي مَلْزَم ، كأنه آلة للزوم لفرط لزومه ، " وأجل مسمى " لا يخلو من أن يكون معطوفًا على " كلمة " أو على الضمير المستكن في " كان " أي : لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود . فتوجيه الزمخشري للآية ذو شقين :

الأول : أن يكون " أجل مسمى " معطوف علي " كلمة " وعليه ففي الآية فصل بين المتعاطفين .

الثاني : أن يكون معطوفا علي الضمير المستكن في " كان " وبناء على ذلك فلا فصل في الآية ، **وتقدير** المعني حينئذ " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان الأخذ العاجل والآجل لازمين لهما كما كانا لازمين لعاد وثمود .

إذا فالوجه الثاني أقرب إلي الفهم وبعيد عن التأويل ولا يلزم عليه تقديم ولا تأخير فيسقط الاستدلال به .

إذا فلا داع لأن يقال : فيه فصل وتقديم وتأخير من أجل الفاصلة .

<u>الثلاثون</u> : إيقاع الظاهر موقع المضمر ، نحو ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف ١٧٠)

لم يكن إيقاع الظاهر في هذه الآية موقع المضمر غرضه – بادئ ذي بدء – مراعاة الفاصلة ، وإنما غرضه بيان كمال العناية بالمظهر " المصلحون " فلم يقل " أجرهم " تنبيهًا على أن صلاحهم علة لنجاتهم "[١] " وفيه إشارة إلى وصفهم بالصلاح حين تمسكوا بالكتاب وأقاموا الصلاة ، وهو معنى لا يتأدى بالضمير العائد ، ولهذا أوثر إبراز " المصلحين" بدلاً من الضمير العائد عليهم ، لبيان أن عدم إضاعة الأجر بسبب صلاحهم في كونهم تمسكوا بالكتاب وأقاموه الصلاة .

---

١ البرهان ٤٩٣/٢

الحادي والثلاثون : وقوع « مفعول » موقع « فاعل » . نحو ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (الإسراء ٤٥) أي ساترًا . ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم ٦١) أي آتيا .

جاءت آية الإسراء في سياق آيات روى فواصلها راء مسبوقة بحرف " مد " والحجاب يكون ساترًا لا مستورًا ، فكان أن يقال " ساترًا " وهذا ما جعل ابن الصائغ يرى أن وقوع « مفعول » موقع « فاعل » من أجل الفاصلة . وهذا وهم . إنما الداعي إلى ذلك هو المبالغة في قوة المعنى وتأكيده ، وأن الحجاب الذي جعل بين الكافرين وبين الرسول ﷺ وما يتلوه من آيات بينات ، لعدم انتفاعهم بها وشدة نفورهم عنها ، كاد يكون لقوة ستره مستورا . أي أن أثره تعدى موضعه حتى شمل الحجاب نفسه ، ففي التعبير تخييل على حد قول الشاعر :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله

لكن لشعري فيك من نفسه آيات شعر

ففي العبارة مجاز عقلي [1] ، وكذلك يقال في قوله تعالى : ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم ٦١) ففي هذا العـدول مبالغة في قوه المعنى وتأكيده بأن وعد الله آتٍ لا محالة .

الثاني والثلاثون : ووقوع « فاعل » موقع « مفعول » ، نحو ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة ٢١) ﴿ من ماء دافق ﴾ (الطارق٦) يأتى كثيرًا في العربية (اسم الفاعل) بمعنى (اسم المفعول) قال تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ (هود ٤٣) أي لا معصوم . وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ (العنكبوت ٦٧) أي مأمونا فيه . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (الإسراء ١٢) أي مبصرا بها .

---

١ خصائص التعبير القرآني ٢١٧/١ ، ٢١٨

والعرب تقول : (ليل نائم ، وسر كاتم) بهذا المعنى أيضًا ، ومما أذكره من قبيل هذا قول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي المطعوم المكسوّ . أما عن قوله تعالى : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ قال الفرّاء : والعرب تقول : هذا ليل نائم ، وسر كاتم ، وماء دافق ، فيجعلونه فاعلا وهو مفعول في الأصل ، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم .[1]

وقال أبو عبيدة : " عيشة راضية " مجاز مرضية ، فخرج مخرج لفظ صفتها ، والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شئ ، يقال : نام ليله ، وإنما ينام هو فيه .[2]

وقال الشريف الرضي : " وكان الوجه أن يقال : في عيشة مرضية ، ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم « شعرٌ شاعر » ، « وليلٌ ساهر » ... وقال بعضهم : إنما قال تعالى : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ لأنها في معنى ذات رضا ، كما قالوا لذى الدّرْع دَارع ، ولذي النّبل نابل ، ولصاحب الفرس فارس ، وإنما جاءوا به على النسب ولم يجيئوا به على الفعل ، وعلى ذلك قول النابغة الذبياني:

كليني لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب

أي ذي نَصَب ، فكأن العيشة أعطيت من النعيم حتى رضيت فحسن أن يقال راضية ، لأنه بمنزلة الطالب للرضا ... " .[3]

وخلاصة القول : إذا كانت تلك عادة العرب ، والقرآن نزل بلغة العرب ، ونزل على ما تستحب العرب من القول ، فلا داعي لقولهم : إن السبب في وقوع اسم الفاعل موقع اسم المفعول أو عكسه مراعاة للفاصلة فحسب ، وإنما لمقصود المعنى ودقة النظم الهدف الأسمى ، وهذا من تصريف القرآن للقول بحسب المقام .

---

١ معاني القرآن ١٨٢/٣
٢ مجاز القرآن ٢٦٨/٢
٣ تلخيص البيان صـ ٣٣٠

<u>الثالث والثلاثون</u> : الفصل بين الموصوف والصفة : نحو : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝ ﴾ (الأعلى ٤ ، ٥) إن أعرب "أحوى" صفة للمرعى أي حالا .

الذي أخرج المرعى وهو الكلأ الأخضر مما ترعاه الدواب غضًّا طريًّا " فجعله " بعد ذلك غثاءً ، وهو ما يبس من النبات فحملته الأهوية وطيّرته الرياح، والظاهر أن أحوى صفة للغُـثـاء ، والحوة : السواد إذا يبس واستولى البرد عليه جعل يضرب إلى السواد ، وقد يحتمله السيل فيلصق به أجزاء كدرة .

قال **الفرّاء وأبو عبيدة** " الأحوى " هو الأسود لشدة خضرته وعلى هذا يكون حالا من ضمير المرعى ، أي صيره في حال حوته غثاء"[1] وقال **جار الله** هو حال من المرعى ، أي أخرجه أسود من شدة الخضرة والري ، فجعله غثاء بعد حوته[2] وكأن المعنى على هذا : أخرج المرعى أحوى ، فجعله غثاء ، فيكون مؤخرًا معناه التقديم .[3]

<u>الرابع والثلاثون</u> : إيقاع حرف مكان غيره ، نحو ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾ (الزلزلة ٥) والأصل " إليها " .

قال أبو حيان – بمثل ما قال ابن الصائغ – في هذه الآية ، قال : " وعدّى أوحى باللام ، وإن كان المشهور تعديتها بإلى لمراعاة الفواصل "[4] وتلتفت الدكتورة عائشة عبد الرحمن في تفسير هذه الآية إلى ملحظ بياني طريف فتقول: " ونستقرئ مواضع فعل الإيحاء في القرآن كله فلا نراه يتعدى إلى " إلى " إلا حين يكون الموحى إليه من الأحياء ، يطرّد ذلك في كل آيات الإيحاء بإلى ، وعددها سبع وستون آية .

وأما حين يكون الموحى له جمادا ، فالفعل يتعدى باللام كآية الزلزلة ، أو بحرف « في » كما في آية فصلت ﴿ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ ﴾ (فصلت ١٢)

---

١ تفسير النيسابوري ٧٠/٣٠ ، ٧١ ، وانظر : معاني القرآن ٢٥٦/٣
٢ الكشاف ٢٤٣/٤
٣ معاني القرآن ٢٥٦/٣
٤ البحر المحيط ٥٠١/٨

ودلالة اللام الإيحاء المباشر على وجه التسخير ، ودلالة " في " البث و الملابسة .

وأما الإيحاء بـ " إلى " فيأخذ دلالته الخاصة في المصطلح الديني للوحي إذا كان الموحى إليه من الأنبياء ، وإلى غير الأنبياء بشرا أو حيوانا يكون الإيحاء بمعنى الإلهام ، وللجماد بمعنى التسخير، ومن هنا كان إيثار التعدية باللام لما في معنى اللام من اختصاص وإلصاق وصيرورة وتقوية الإيصال ، وهى معانٍ عرفها اللغويون أنفسهم فيها وعدوها فيما عدوا من معانيها التي أحصاها **ابن هشام** في (مغنى اللبيب) وان لم يلتفتوا إليها هنا في البيان القرآني بل قالوا إن " اللام " تقوم مقام " إلى " بشاهد من آية الزلزلة : " أوحى لها " .[1]

إذن فلا يكون الإيحاء للأرض في هذه الآية عدولا عن أوحى إليها لمراعاة الفاصلة ، بل التعدية باللام هنا متعينة مقصودة ، لأن الموحى إليه جماد كما هدى الاستقراء القرآني.

<u>الخامس الثلاثون</u> : تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ منه " الرحمن الرحيم " و" رءوف رحيم" لأن الرأفة أبلغ من الرحمة .

قال **الزمخشري** : " فان قلت : فلِمَ قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه ؟ والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، كقولهم : فلان عالم نحرير وشجاع باسل ، وجواد فياض ؟ قلت : لمّا قال " الرحمن " تناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه " الرحيم " كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف .[2]

وقريب من هذا قول **أبي السعود** – وهو متأثر بالزمخشري – " وتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية لأسلوب الترقي إلى الأعلى كما في قولهم : فلان عالم نحرير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ؛ لأنه باختصاصه به عز وجل صار حقيقيا بأن يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ، ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها ، وإفراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة " .[3]

---

١ انظر الإعجاز البياني صـ ٣٧٧ ، والتفسير البياني صـ ٩٢ ، وراجع مغني اللبيب لابن هشام ١٩٣/١
٢ الكشاف ٤٥/١
٣ تفسير أبي السعود ١١/١

وفي تقديم " رءوف " على " رحيم " قال **أبو السعود** : " وتقديمه على " رحيم" مع كونه أبلغ منه لما مرّ في وجه تقديم " الرحمن " على " الرحيم " وقيل : " الرحمة " أكثر من " الرأفة " في الكمية ، والرأفة أقوى منها في الكمية ، لأنها عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة إيصال النعمة مطلقا ، وقد يكون مع الآلام كقطع العضو المتآكل ... " .[1]

إذن فالعلة البلاغية التي يقتضيها المعنى الترقي من الأدنى إلى الأعلى .

السادس والثلاثون : حذف الفاعل ونيابة المفعول ، نحو قوله تعالى :
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴾ (الليل١٩) .

يرى **ابن الصائغ** – كما يرى بعض المفسرين – أن مجيء " تـُجزَى " مبنيا للمفعول لكونه فاصلة ، وكان أصله تجزيه إياها أو نجزيها إياه ، وأعتقد أن هذا ملحظ شكلي لا يجزئ إن يقال بمثله في البيان الأعلى ، وإنما لابد أن هناك ملحظـًا بيانيًّا ، ومقتضى معنويا في هذا النص المعجز يفهم من السياق ، فالآية استئناف مقرر لما أفاده الكلام السابق من كون إيتائه للتزكي خالصا الله تعالى ، أي ليس لأحد عنده نعمة من شانها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتى مجازاتها ، ويعلم ما ذكر أن بناء تجزى للمفعول ، لأن القصد ليس الفاعل معين .[2]

قال **الزمخشري** : ويجوز أن يكون " ابتغاء وجه " مفعولا له على المعنى؛ لأن معنى الكلام : لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه ، لا لمكافأة نعمة[3] وهو في هذا متأثر بالفراء حيث يقول : " لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عندهُ ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه " .[4]

وخلاصة القول أن بناء الفعل " تُجزَى " للمجهول جاء لمقتضى معنوي ، وهو أن البذل هنا لم يكن عن قصد جزاءً لأحد ، أو من أحد على الإطلاق ، وإنما هو خالص لوجه الله . وواضح من الآية أن المال المبذول لم يؤته من تزكى جزاء على نعمة سبقت لأحد عنده ، وإنما قصد من الإنفاق والتزكي وجه الله تعالى .

---

١ السابق ١٧٤/١
٢ روح المعاني ١٥٢/٣٠
٣ الكشاف ٢٦٢/٤ ، وانظر : البحر المحيط ٤٧٩/٨
٤ معاني القرآن ٢٧٢/٣

السابع والثلاثون : **إثبات هاء السكت** ، نحو : ماليه . سلطانيه . ماهيه (الحاقة ٢٨،٢٩ ، والقارعة ١٠) .

هذه الهاءات تصور بنغمتها جزءًا من ظلال الموقف الذي ترسمه الآيات ، وحينما نستمع إلى الآيات في إثناء قراءتها . ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ (الحاقة ٢٥ – ٢٩) نسمع نغمة يائسة ولهجة بائسة توحي بالتفجع والتحسر ؛ لأن ثمّة رنّة حزينة حسيرة مديدة نسمعها في هذه الهاء الساكنة (الفاصلة) وفي الياء قبلها بعد المد بالألف ، ولاشك أن هذا جزءٌ من ظلال الموقف العصيب الموحى بالحسرة والأسى ساعد على إظهاره وسماعه تلك الهاء الفاصلة .

إذن إثبات هاء السكت هنا لم تكن لمجرد مراعاة المناسبة بل لها دور بارز في أداء المعنى وتصويره .

الثامن والثلاثون : **الجمع بين المجرورات** ، نحو : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ (الإسراء٦٩) فإن الأحسن الفصل بينهما ، إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير " تبيعا " .

لكي نصل إلى الفهم الصحيح نعيش مع الآيات التي قبل هذه الآية لمراعاة السياق العام *قال تعالى :* ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ۝٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ (الإسراء ٦٧_٦٩) إن جملة " وإذا مسكم الضر....." خبر مستعمل في التقرير وإلزام الحجة ، إذ لا يخبر أحد عن فعله إخبارا حقيقيا ، وجملة " فلما نجاكم إلى البر أعرضتم " خبر مستعمل في التعجب والتوبيخ ، « وجملة وكان الإنسان كفورا » " اعتراض وتذييل لزيادة التعجب منهم ومن

أمثالهم ، و « الكفور » صيغة مبالغة ، أي كثير الكفر والنكران لنعمة الله ، لذلك كان من آداب النفس في الشريعة تذكيرها بنعم الله ، فقوله : ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ ﴾ تفريع على جملة " أعرضتم " وما بينهما اعتراض ، وفرع الاستفهام التوبيخي على أعراضهم عن الشكر وعودهم إلى الكفر ، و" الباء " في " يخسف بكم " لتعديه " يخسف " بمعنى المصاحبة .. والوكيل : الموكل إليه القيام بمهام موكله ، والمدافع عن حقه ، أي لا تجدوا لأنفسكم من يجادلنا عنكم ، أو يطالبنا بما ألحقناه بكم من الخسف أو الإهلاك بالحاصب ... و" أم " عاطفة الاستفهام ، وهي للإضراب الانتقالي ، أي بل أأمنتم أي وهل كنتم آمنين من العود إلى ركوب البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح ... والباء في " بِمَا كَفَرْتُمْ " للسببية ، وما مصدرية أي " بكفركم " و " ثم " للترتيب الرتبي كشأنها في عطفها الجمل ، وهو ارتقاء في التهديد بعدم وجود منفذ لهم ، بعد تهديدهم بالغرق ، لأن الغريق قد يجد منقذا و" التبيع " مبالغة في **التابع** أي المتتبع غيره المطالب لاقتضاء شئ منه ، أي لا تجدوا من يسعى إليه ، ولأمن يطالب لكم بثأر، ووصف " تبيع " يناسب حال الضر الذي يلحقهم في البحر ؛ لأن البحر لا يصل إليه رجال قبيلة القوم وأولياؤهم ، فلو راموا الثأر لهم لركبوا البحر ليتابعوا آثار من ألحق بهم ضرا ، فلذلك قيل هنا " تبيعا " وقيل في التي قبلها " وكيلا " كما تقدم .وضمير" به" عائد إما إلى الإغراق المفهوم من" يضركم "وإما إلى المذكور من إرسال القاصف وغيره .

ولعل في التعبير بـ " تبيعا " من مجاز القرآن في إقامة صيغة مكان أخرى، كإطلاق فاعل بمعنى مفعول وعكسه ، أو إطلاق فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ (الفرقان ٥٥) أو إطلاق " فعيل " بمعنى " فاعل " لقصد المبالغة في التهديد والتوبيخ كالآية التي معنا ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ (الإسراء ٦٩) .

إذن فليس الأحسن الفصل بينهما ، وليس عدم الفصل اقتضته الفاصلة كما زعم ابن الصائغ وإنما أخرت تبيعًا لمقتضى معنوي وهدفًا أدركناه من سياق الآيات .

التاسع والثلاثون : العدول عن صيغة المضي إلى الاستقبال ، نحو:
﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة ٨٧) والأصل " قتلتم " .[1]

والآية الكاملة : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

قال أبو السعود : " « ففريقا » منهم « كذبتهم » من غير تعرض لهم بالمضار ،والفاء للسببية أو للتعقيب « وفريقا » آخر منهم « تقتلون » غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام ، وتقديم « فريقا » في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع ، إلى ما فعلوا بهم ، وإيثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة أو للإيماء إلى أنهم بَعْدُ على تلك النيّة حيث همّوا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام ...".[2]

ويؤيد هذا قول **الزمخشري :** "فإن قلت : هلا قيل : وفريقا قتلتم ؟ قلت : هو على ***وجهين :*** أن تراد الحال الماضية ، لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب ، وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد ، لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ إلا أنى أعصمه منكم ... " .[3]

قال **ابن المنير** : " والتعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضي كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ (الحج ٦٣) فعبر بالماضي ثم قال : ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ (الحج ٦٣) فعدل عنه إلى المضارع إرادة لتصوير اخضرارها في النفس[4] على كل حال ذلك شائع وكثير في القرآن الكريم ، ومنه ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ٤٤) ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا

---

١ المعترك ٣٩/١
٢ تفسير أبي السعود ١٢٦/١
٣ الكشاف ٢٩٥/١
٤ الإنصاف ٢٩٥/١

﴿ تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ (البقرة ١٠٢) أي : تلت ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ.. ﴾ (الحجر ٩٧ ، والنحل ١٠٣)

أي : علمنا ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (النور ٦٤) .

﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة ٩١) أي قتلتم . ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ (الرعد ٤٣) أي قالوا .[1]

<u>الأربعون</u> **:تغير بنية الكلمة** ، نحو ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (التين ٢) والأصل وطور سيناء - جاء في تفسير النيسابورى :"وإما طور سينين ، فالطور : جبل موسى عليه السلام وسينين : الحسن بلغة الحبشة ... "

وقال **مجاهد**: المبارك ، وقال **الكلبي** ومقاتل : كل جبل منه شجر مثمر فهو سينين ، و " سيناء " بلغة النبط .[2] قال **الواحدي** : الأولى أن يكون سينين اسم للمكان الذي فيه الطور ،سمي بذلك لحسنة أو لبركته ثم أضيف إليه الطور للبيان ، ولا يجوز أن يكون " سينين " نعتا للطور ، لإضافته إليه " .[3]

قال **أبو السعود** : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه " وسينين وسيناء " علمان للموضوع الذي هو فيه ، ولذلك أضيف إليهما ، وسينون كبيرون في جواز الإعراب بالواو والياء ، والإقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الإعرابية .[4]

إذن فالكلمتان " سينين " و " سيناء " لغتان ، فالأولى بلغة الحبشة ، والثانية لغة النبط .

وبعد إذا كنا نأخذ على ابن الصائغ وغيره كالفراء وبعض المفسرين أنهم يجعلون مراعاة الفاصلة سببا ظاهرا في تقديم كلمة أو تأخير أخرى ، أو حذف حرف ، أو زيادة حرف ، ويسمون ذلك عدولا عن الأصل – وهذا اعتبار

---

١ المعترك ٢٥٨/١
٢ تفسير القرطبي ٧٦/٢٠
٣ تفسير النيسابوري ١٢٠/٣٠ على هامش تفسير الطبري . دار الحديث
٤ تفسير أبي السعود ١٧٥/٩

لفظي بحت لا يليق أن نفهم على أساسه روائع التعبير في البيان الأعلى نحسبه أنه مجتهد ، والمجتهد لا يخلو من الأجر – إن حسنت النية – أخطأ أم أصاب ، وبين الأجرين فرق ما بين الصواب والخطأ .

ومن الحق أن نقول : إن ابن الصائغ لم يجزم بأن هذا العدول من أجل المناسبة أو مراعاة الفاصلة فحسب ، بل احتاط لدفع توهم الإطلاق والتعميم فتجده يقول في نهاية هذه الأحكام : " لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القران العظيم – كما جاء في الأثر – لا تنقضي عجائبه "[1] ولعل هذا القول – مع إيماننا بالإعجاز البياني للقرآن في نظمه وكلمه وحروفه – هو ما دفعنا إلى التنقيب لتتبع الأمور الأخرى التي أشار إليها ابن الصائغ وهى أمور تتعلق بالمعنى والمبنى للفاصلة كما اقتضاها السياق الذي وردت فيه .

ومن نافلة القول ، أن نذكر أن النظم القرآني لم يخرج عن مقتضى الظاهر أو لم يعدل عن الأصل في أي تركيب لغوي مراعاة للمناسبة دون المعنى ، ولكن المعنى هو الذي فرض الخروج عن هذا المقتضى أو مخالفة الأصل ، وكانت الفاصلة نتيجة من نتائج الوفاء بالمعنى ، فالأمر كله سياق عام يؤدى معنى معينا يتطلب تركيبا معينا ، فالعلماء هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون ، وموسيقى الفاصلة جزء من الشكل وجزء من المضمون . وإن جودة الإيقاع لا تنفصل عن جودة النظم ؛ لأن الإيقاع لا يكون إلا بحسن النظم .

---

١ الإتقان والمعترك

المصادر والمراجع

ـ **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، تح/ محمد أبو الفضل ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤م٠

ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)** ، دار إحياء التراث العربي- بيروت ط٢ ١٤١١هـ/١٩٩٠م ٠

ـ **الإعجاز البلاغي في تراث أهل العلم**، د٠ محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، ط١ سنة١٩٨٤

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. د/ عاشة عبد الرحمن . دار المعارف. القاهرة . ط٢. ١٩٨٧م .

ـ **إعجاز القرآن** ، **الإعجاز في دراسات السابقين**، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي- القاهرة (جزآن) ط١ سنة ١٩٧٤م٠

الأعلام . **الزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . ط١٤ . ١٩٩٩م**

ـ **الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال** ، للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م٠

ـ **البرهان في علوم القرآن**، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق / محمد أبو الفضل ، دار المعرفة ـ بيروت ، ط٢ ، سنة ١٩٧٢م٠

ـ **البرهان في متشابه القرآن** ، الإمام محمد بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق د/ عز الدين عبد الله خلف ، دار الوفاء ـ المنصورة ـ ط١ سنة ١٩٩١م٠

ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى، تحقيق أ٠ محمد علي النجار، إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة- ط٢ سنة ١٩٨٦م٠

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . السيوطي . تح/ محمد أبو الفضل . القاهرة . ١٩٦٤م .

ـ **البيان في روائع القرآن**، د/ تمام حسان، عالم الكتب ـ القاهرة، ط١ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

ـ **تاريخ آداب العرب** ،مصطفى صادق الرافعي، دار الكاتب العربي- بيروت ، ط٢ سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ان، ثلاثة أجزاء ٠

ـ **تأويل مشكل القرآن** ، ابن قتيبه ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية ـ بيروت ، ط٣ ، سنة ١٩٨٨ م٠

ـ **التبيان في إعراب القرآن-** للعكبري ، المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ط١ سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

ـ **التعبير القرآني** ، د/ فاضل صالح السامرائي ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ـ ط١ سنة ١٩٨٩ م ٠

ـ **تفسير البحر المحيط** ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، شاركهم د/ زكريا عبد المجيد النوتي ، د/ أحمد النجومي الجمل ، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م٠

ـ التفسير البياني للقرآن ، د/ عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م، ١٩٦٨ في جزئين ٠
ـ تفسير التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر.
ـ تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) . دار الفكر . بيروت. ط٣ . ١٩٨٥م.
ـ التكرير بين المثير والتأثر، د/ عز الدين علي السيد، عالم الكتب ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م
ـ تلخيص البيان في مجاز القرآن، الشريف الرضى ، تحقيق د/ علي محمد مقلد، دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٨٦ م٠
ـ التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي) . أحمد أبو زيد . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية . الرباط ـ المغرب ط ١ / ١٩٩٢م.
ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٣م/١٩٥٠م ٠
جنى الجنتين في تمييز المثنيين . ابن فضل الله المحبي
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . جلال الدين السيوطي . تح/ محمد أبو الفضل . مطبعة الحلبي . ١٩٦٧م .
ـ الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م٠
ـ خصائص التعبير القرآن وسماته البلاغية، د/ عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبه بالقاهرة ط١ سنة ١٩٩٢م ، جزأن٠
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة . ابن حجر العسقلاني . تح/ محمد جاد الحق . م المدني .
ـ دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي- القاهرة سنة ١٩٨٤م٠
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٠ (تفسير الأوسي)، دار إحياء التراث العربي- بيروت ط١، سنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م٠
شرح ابن عقيل علي ألفية بن مالك ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، ط٢٠ سنة ١٩٨٠
شرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الاستراباذى، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٥م٠
شرح المفصل، لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ ٠
شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي . مكتبة القدسي . القاهرة . ١٣٥٠هـ .
الصاحبي ، لابن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة الحلبي بالقاهرة ـ ط١ سنة ١٩٧٧م٠
الضرورة الشعرية « دراسة أسلوبية » . السيد إبراهيم محمد . دار الأندلس . بيروت . ط٣ . ١٩٨٣
طبقات المفسرين . الداوودي . مكتبة وهبة . القاهرة . ١٩٩٤م
غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابورى) ، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، بهامش تفسير الطبري ، طبعة دار الريان للتراث ، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.
ـ في ظلال القرآن (تفسير سيد قطب) ، دار الشروق ـ بيروت ط٢١ سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

كتاب سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق / عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٢ سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في التأويل (تفسير الزمخشري) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط١ سنة ١٣٥٤هـ .
كشف الظنون. حاجي خليفة . ط١. در سعادات . مطبعة العالم . نظارة المعارف . ١٣١٠هـ
اللامع العزيزي كتاب لأبي العلاء المعري في شرح غريب شرح أبي الطيب المتنبي ، عمل الأمير معز الدولة ثابت بن الأمير معز الدولة أبي العوان
- **لسان العرب** ، ابن منظور ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق د/ أحمد الحوفي ود/بدوي طبانة ، دار نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٧٣م.
مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثني التميمي ، تحقيق د/ محمد فؤاد سر كيس ، مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط سنة ١٩٨٨ م.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** – جلال الدين السيوطي – تحقيق محمد جاد المولي وآخرين – دار إحياء الكتب العربية – مطبعة الحلبي بمصر .
- **معاني القرآن** ، لأبى زكريا يحي بن زياد الفراء ، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي ، مراجعة أ.د/ علي النجدي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ .
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، للحفاظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق / علي محمد البجاوى ،دار الفكر العربي ط سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م.
- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد إسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي بالقاهرة – ط١ سنة ١٩٦٨م.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة الحلبي بالقاهرة (بدون تاريخ) .
- **المفردات في غريب القرآن** ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / محمد سيد الكيلاني ، مطبعة مصطفي البابي – الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
النشر في القراءات العشر . ابن الجزري . دار الفكر للطباعة والنشر . د . ت .
نهاية الأرب في فنون الأدب . النويري . دار الكتب المصرية . القاهرة . ١٩٣١م .
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . فخر الدين الرازي . تح/ بكري شيخ أمين . دار العلم للملايين . ط١ . ١٩٨٥م .
- **يتيمة الدهر** . لأبي منصور الثعالبي . تح/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية . ط٢ .١٩٨٣م .

الدوريات

مجلة منبر الإسلام ع ١ س ٤١ ص ١٥ من مقال بعنوان "فواصل الآيات بين المعنى والنغم الموسيقى ".
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٥ الجزء الرابع

شبايك ، عيد محمد
ظاهرة مراعاة المناسبة عند ابن الصائغ الحنفي/ تأليف عيد محمد شبايك .
– ط١. – القاهرة : عيد محمد شبايك ، ٢٠٠٦
٧٠ ص ؛ ٢٤سم
تدمك ٢– ٣١٥٧ – ١٧– ٩٧٧
١- القرآن ، بلاغة ،
أ – العنوان
٢٢٥